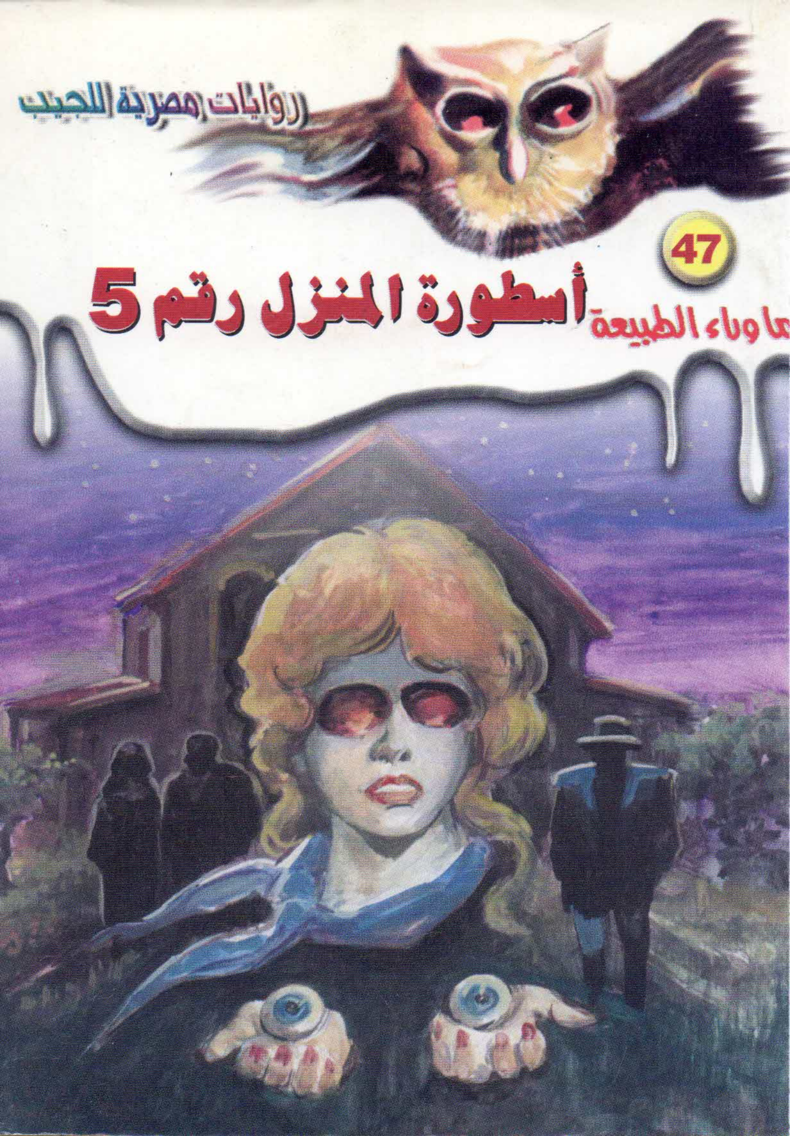

روايات مصرية للجيب
47
ما وراء الطبيعة
أسطورة المنزل رقم 5

ما وراء الطبيعة
روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة
روايات مصرية للجيب

أسطورة المنزل رقم 5

ولماذا المنزل رقم 5 بالذات ؟
لماذا هذا الإلحاح وهذا الحماس المشبوب الذى يصل إلى درجة القتل ؟ من هم ؟ من أين جاءوا ؟
هذا هو مايحاول (رفعت إسماعيل) العجوز معرفته ،
وبالطبع نحن معه ....



د. أحمد خالد توفيق



الثمن فى مص
ومايعادله بالدولار
فى سائر الدول العر



العدد القادم :
أسطورة المومياء

47

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

أسطورة المنزل رقم (5)

روايات مصرية للجيب

●

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

إشراف
الأستاذ/ حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

47

أسطورة المنزل رقم (5)

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

مقدمة

منتصف الليل ..

أنتم تعرفون طبعًا منتصف الليل .. إنه الوقت الذى ينتصف فيه الليل .. لا حاجة بالمرء إلى أن يكون خبيرًا فى علوم الفيزياء كى يعرف هذا ..

منتصف الليل ، ولاصوت هنالك سوى الأمطار ، وصوت محرك الساعة الرتيب ، وقطة تعوى فى مكان ما بطريقة تجعلك تتساءل : هل هى حقًا قطة ؟

كل هذه الأجواء صارت مألوفة لكم ، كما صار صوت العجوز الأصلع النحيل ، بصوته المبحوح ، وعينيه اللتين تحملان أهوال العالم .. عينيه اللتين صارتا عينى مسخ فى حد ذاتهما ، حتى إننى لم أعد أعرف الخط الفاصل بين من رأى الأهوال وبين الأهوال ذاتها ..

تعالوا نصغ إلى قصة أخرى ..

لقد كتبت أربع وريقات ، على ظهورها كتبت عناوين مثل (أرض العطايا) و (المقبرة) و (المنزل رقم 5) و (القادم ليلاً) .. الأوراق مقلوبة ، فلم لا تجربون اختيار ورقة منها ؟

طبعًا هذه محاولة عبثية ، لأن قدركم هو اختيار الورقة التى تحمل اسم (المنزل ...) أليس هذا هو عنوان الكتيب ذاته ؟!

لا تحاولوا تحدى مصيركم .. نعم .. سأحكى لكم اليوم أسطورة المنزل رقم (5) ، وهى مسلية ككل الأساطير والقصص التى تحوى رقم (5) فى عنوانها ..

رعب ؟ يوجد القليل منه بالتأكيد .. ثم إن للقصة طابعًا باردًا متوجسًا قاتمًا يناسب أمثالى كثيرًا ..

تعالو نر ما يدور هناك ..

خلف أبواب المنزل رقم (5) ..

١ ـ منزل السيدة (بانكروفت) ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

تسألينني يا (ريم) عن سبب ذهابى إلى (أستراليا) فى ذلك الوقت بالذات .. تسألينني عن سبب إقامتى فى (سيدنى) فى منزل مسز (بانكروفت) .. تسألينني عن كل الرهبة والفزع اللذين يصيبانى كلما سمعت عن قصة أو شاهدت فيلمًا اسمه (المنزل رقم كذا ..)

أقول لك يا (ريم) : إن أسئلتك كثيرة جدًا ، وقد بدأت تثير أعصابى .. ليس أسوأ من المرأة التى تسأل كثيرًا إلا المرأة التى تسأل أسئلة تصعب إجابتها ..

أما لماذا ذهبت إلى (أستراليا) فشىء يخصنى .. وقد كنت مدعوًا على كل حال فلم أدفع تذكرة الطائرة ، وهى الكفيلة بأن أتسوّل بقية حياتى ..

أما لماذا أقمت فى منزل مسز (بانكروفت) ، فلأنها كانت تعرض غرفة للإيجار ، وما كانت ميزانيتى لتسمح بالإقامة فى فندق لفترة طويلة ..

كانت عجوزًا بالطبع .. عجوزًا من الطراز الإنجليزى الوقور البارد نوعًا ، لكنها كانت سيدة طيبة بحق ، ولم تكن تتدخل فيما لا يعنيها على كل حال .. الحق أنها حتى لو تدخلت لما فهمت شيئًا من لهجتها الأسترالية (التطجينية) إياها .. كل العالم ينطق (ديفيد) كما نكتبها .. لكن الأستراليين يصرّون لسبب ما على أنه يُنطق (ضايفض) ، وغير هذا كثير ..

امرأة لطيفة مهذبة كانت يا (ريم) ، وساكنًا صموتًا متحفظًا كنت .. وأحببتها أكثر حين عرفت أنها لا تطبخ الزوار أو تحنطهم أو تطعمهم للتماسيح كعادة عامة العجائز ..

المنزل يقع فى نهاية شارع طويل هادئ ، تحف به الأشجار على الجانبين .. ثمة مقاعد يجلس عليها العشاق أو المتظاهرون بالعشق ، وربما تجد أمًّا جالسة مع رضيعها فى عربته ، أو ذلك العجوز الكئيب الذى تجده فى كل مكان ، الذى يعقد كفيه على بطنه ، ويرجع رأسه للوراء ويغط بصوت عال ..

أما أرضية الشارع فمرصوفة بذلك الطراز المضلع من الحجارة الذى يسمونه Cobble Stone أو حجر الإسكافى ، وهو على قدر علمى ليس مشهدًا معتادًا إلا فى شرق أوروبا ..

وكنت فى الصباح يا (ريم) أذهب لإنهاء عملى الذى لن أذكر أية معلومات عنه ، ثم أعود فى الخامسة عصرًا لأجد العجوز ـ نصف الإنجليزية ـ جالسة فى المدخل تشرب شاى الساعة الخامسة مع البسكويت ذى نكهة الزنجبيل .. وتسألنى عما إذا كنت راغبًا فى مشاركتها الشاى ، فأقبل مرة وأعتذر مرات .. أنت تعرفين يا (ريم) أننى عازف عن أى نوع من العلاقات البشرية ، وأن القبر هو المكان الأمثل لأمثالى ..

بعد هذا أصعد إلى حجرتى ، فأقضى الوقت فى القراءة والكتابة والنوم والعصبية ، وسماع الإذاعة الأسترالية التى لا أفقه نصف ما تقول بسبب التطجين ..

طبعًا البرد شديد .. كل أستراليا عبارة عن ثلاجة كبرى ، لكن أحدًا لا يشعر بهذا سواى .. الصحة والرياضة والجمال فى كل بقعة هنا ما عدا غرفتى ..

وعند العاشرة مساءً أكف عن الغضب والسخط ، فأنام آملاً فى يوم أكثر دفئًا ، وأن أعود إلى الوطن بسرعة ..

* * *

متى بدأ كل شىء ؟

أعتقد يا (ريم) أن هذا كله بدأ فى الثامن من مارس .. كنت عائدًا إلى المنزل كالعادة ، لأجد الباب مفتوحًا ، وكان هناك رجل فارع القامة من الطراز الذى ما زال يعتمر قبعة .. لقد خلعها على كل حال وهو يتحدث مع السيدة ، التى وقفت تصغى إليه ، وتحرك رأسها فى صرامة ، ومن هذه المسافة سمعتها تقول :

ـ « نو .. نو .. نو (لا .. لا .. لا) »

والرجل يحاول بشكل مهذب أن يقنعها دون جدوى .. مررت بجواره وحييتهما ، ثم اختلست نظرة سريعة إليه .. كان فى الخمسين من العمر .. مهيب المنظر .. لماذا أصفه لك يا (ريم) ؟ كان

بوسعى أن أكتب لك صفحة أو صفحتين فى وصفه ، لكن هذا مجهود لا طائل من ورائه لأنك تنسين كل شىء ، وعلى كل حال يكفى أنه كان أنيقًا مهيبًا .. لا شىء غير هذا ..

لم أتدخل فى الأمر طبعًا لأنه لا يعنينى .. ودخلت إلى مدخل المنزل حيث كان الشاى والبسكويت ينتظران على العربة المتحركة .. إن هذا الضيف اللحوح قد أفسد على السيدة شهيتها كما أرى ..

بعد قليل سمعت الباب ينغلق فى عصبية ، وعادت إلى المدخل حيث كنت واقفًا وقد نسيت نفسى على ما يبدو .. سألتها فى تهذيب :

« هل ثمة ما أساعدك به ؟ »

قالت بوجه مكفهر :

ـ « لا شىء .. إنه لحوح .. لكن الإلحاح يجعلنى عنيدة .. »

صعدت إلى غرفتى ونسيت كل شىء عن الموضوع..

فقط قلت لنفسى إن الباعة الجوالين فى (أستراليا) يبدون كأعضاء مجلس اللوردات الإنجليزى ..

تذكرت شيئًا غريبًا يا (ريم) .. تصورى أننى لم أصف لك المنزل بعد .. لابد أنك فهمت من الكلام أنه من طابقين ، وأنه مريح مهندم .. وأنه يحمل رقم (5) .. هذا صحيح .. فى الحقيقة لا أعرف أين يوجد المنزل السادس أو الرابع لأن الشارع خال تقريبًا .. لكن رقم (5) كان موجودًا فى كل مكان .. على المدخل وعلى الباب وعلى صندوق البريد .. وكان المنزل خاليًا تمامًا لأن السيدة ترفض كل مستأجر يأتى لها ، لكن وضعى كان خاصًّا (لأننى فى سن النضج) كما قالت ، ولأن صديقًا أستراليًّا أوصاها علىّ .. ولابد أن طباعى المتحفظة المنغلقة الشبيهة بطباع حيوان الخلد قد راقت لها كثيرًا ..

لم يكن البيت بيتها منذ زمن سحيق .. لقد انتقلت لتعيش فيه فى أوائل الأربعينات مع زوجها الخواجة (بانكروفت) ، الذى كان محاسبًا حكوميًّا .. وقد توفى الرجل فى يوم استسلام (برلين) بالضبط ، ومن يومها ظلت أرملة وحيدة .. ويبدو أن فكرة تأجير غرفة لم تخطر لها إلا منذ عامين .. وكانت تنوى التوسع

لو نجحت الفكرة .. ثمة خمس غرف هنا تصلح للإيجار للرجال الصلع نحيلى القوام ، الذين يتصرفون كحيوان الخلد ..

أعود للموضوع ..

فى العاشرة مساءً دق جرس الباب ، وسمعتها تفتحه ، وفى هذه المرة راحت تصرخ فى عصبية ، ولم أميز من كلامها المتسارع سوى كلمة (بوليس) ، وهى كلمة عالمية يعرفها الجميع .. قررت أن أمارس دور رجل البيت ، فارتديت روبًا وهرعت إلى أسفل ، لأجدها تتكلم فى حدّة مجنونة مع ذلك الرجل المتحمس الذى رأيته عصر اليوم ..

رآنى الرجل من فوق كتفها ، فنفخ فى ضيق ، وقرر فيما يبدو أن ينهى المحادثة .. سمعته يقول ضاغطًا على كلماته :

ـ « يجب أن تقبلى يا سيدتى .. يجب .. »

ثم لمس طرف قبعته بما يوحى بالتحية واستدار مبتعدًا ليذوب فى الظلام ..

قلت لها فى حذر :

ـ « هذا البائع اللحوح ؟ لابد أنه مخبول .. »

ـ « ليس بائعًا .. إنه يشترى ولا يبيع ! »

بغباء سألتها :

ـ « يشترى ؟ يشترى أى شى ؟ »

أغلقت الباب وأحكمت وضع المزلاج والسلسلة ، وقالت وهى تدسّ كفيها فى جيبى كنزتها الصوفية :

ـ « يريد أن يستأجر غرفة هنا لمدة أسبوعين ..

ـ « إنه حماس مبالغ فيه ، لكنى لا أرى ما يمنعك من الموافقة .. لا يبدو لى من ذلك الطراز الذى .. إنه ـ فيما أرى ـ رجل وقور كريم المحتد .. »

قالت فى غضب قاطع :

ـ « الرجال الوقورون لايقرعون الباب ليلاً طالبين منك ما رفضت منحه بعد الظهر .. ثم إن شروطه غريبة .. »

ـ « غريبة ؟ كيف ؟ »

تقدمتنـــى إلـــى داخـــل المـــنزل ، وقـــالت دون أن تستدير لى :

ـ « يريد أن أخلى له المنزل تمامًا .. منك ومنـى طيلة هذه الفترة ! يريد أن ينفرد ببيتـى تمامًـا لمـدة أسبوعين كاملين !! »

* * *

٢ ـ الميجور القديم ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

أصابنى الوجوم لغرابة الطلب طبعًا .. الرجل يريد طرد المرأة من دارها لمجرد أنه يريد غرفة .. والأدهى أنه يريد طردى كذلك ..

سألتها وقد بدأتْ القصة تروق لى :

ـ « مقابل أى شىء ؟ »

ـ « مقابل أن يدفع إيجار ثلاثة أشهر .. »

هززت رأسى فى استمتاع ، وقلت :

ـ « إن الجنون يفسر كل شىء .. »

قالت العجوز فى اشمئزاز :

ـ « لكنه لايفسر الوقاحة يا مستر (إسماعيل) .. »

ومن جديد راحت تزحف بخفيها الصوفيين متجهة نحو غرفتها ..

* * *

فى الصباح جاء الميجور (برادبورى) ..

عرفت هذا لأننى كنت أهبط فى الدرج متجهًا إلى وجهتى الغامضة ، حين وجدت صاحبة الدار جالسة فى الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على جانبى الرأس ، وشارب كثّ كفرشاة البلاط .. باختصار كان يبدو كهؤلاء الجنرالات الإنجليز الذين نرى صورهم فى كتب تاريخ الحرب العالمية .. لن أندهش لو كان هذا الرجل قد حارب فى (العلمين) مع (مونتجمرى) ..

قلت شيئًا ما ، وكدت أرحل ، لكن المرأة قالت فى مرح :

ـ « تعال يا د. (إسماعيل) .. أقدّم لك الميجور (برادبورى) الذى كان صديق المرحوم زوجى .. »



كنت أهبط الدرج متجهاً إلى مهمتى الغامضة حين وجدت صاحبة الدار جالسة فى الصالة مع رجل أشيب له شعر قصير على جانبى الرأس ..

يعنى لو كان زوجها قد مات فى سن الثلاثين ، فعمر هذا الميجور لن يقلّ عن ستين عامًا .. لا بد أنه ـ فعلاً ـ شارك فى الحرب العالمية الثانية .. غالبًا مع الفيلق الأسترالى فى أوروبا ..

لم أصافحه لأن طباع الإنجليز والأستراليين واحدة فى هذا الصدد .. نظر لى نظرة عسكرية حادة ، ثم غمغم بتحية ما ، وفى يده رأيت صورة فوتوغرافية صغيرة اصفرّت من القدم .. قال وهو يعبث بشاربه :

ـ « رباه ! ياله من دهر ! أستطيع هنا أن أميز (جين) و(آرثر) و(إليزابث) ، يا لها من مسكينة ! »

قالت المرأة فى حزن غامر :

ـ « أوه ! إن السرطان يحسن انتقاء ضحاياه .. حسبتك لا تعرف أنها ماتت .. »

ابتسم فى مرارة ، وقال :

ـ « كنت فى مصر حين أخبرونى بالنبأ .. »

مصر ؟ إذن (إليزابث) المسكينة هذه توفيت منذ أكثر من عشرين عامًا .. لكنهما حزينان كأنها ماتت حالاً ..

لم أر داعيًا لبقائى أصغى لكل هذا الهراء .. عجوزان يتبادلان ذكريات ثمينة لكنها لا تهمنى على الإطلاق .. وتذكرت كيف أن كل أب مولع بأن يحكى لك ما يفعله صغيرُه .. كيف يبصق على الضيوف وكيف يبلل السجادة بالبول وكيف .. معتبرًا هذه معجزات صغيرة ، بينما أنت لا تبالى على الإطلاق .. الذكريات بضاعة لا قيمة لها إلا فى خزانة صاحبها ..

غادرت الدار متجهًا إلى مهمتى الغامضة ..

* * *

وعندما عدت فى الخامسة عصرًا ، كان الميجور ومضيفتى يشربان الشاى طبعًا ، ويبدو أنهما لم يفرغا من ذكريات كل من مات بالسرطان من الأحباب ..

على غير عادتها الصموت الوقور ، هتفت مسز (بانكروفت) :

ـ « خمّن ماذا ! إن الميجور (برادبورى) راغب فى الحصول على غرفة هنا .. »

أطلقت صفير دهشة وأنا لا أبالى شعرة بهذا ، وقلت لها فى حماسة :

ـ إنه النزيل المرتقب طبعًا .

ابتسمت المرأة ـ مرضعة (أمنمحات) ـ فى دلال أنثوى مزعج .. فالميجور بالطبع يمثل لها جزءًا عزيزًا من شبابها ، حين كانت شابة وربما جميلة ، وكانت حياتها تبدأ ولا تنتهى ..

قلت لنفسى : لا بأس .. صحيح أن الرجل سمج نوعًا ، لكنه سيضفى بعض التجديد على حياتنا المملة .. وعلى الأقل هو لم يطالب بطردى .. »

وصعدت إلى غرفتى ، لأبدأ طقوس الأمسية المعتادة .. وككل ليلة التهمت عشائى فى غرفتى ، وهو بعض الشطائر التى أبتاعها من الخارج ، ثم أعددت لنفسى بعض الشاى فى المطبخ ، وكتبت بعض الرسائل وتأهبت للنوم ..

وعند منتصف الليل قرع أحدهم جرس الباب عدة مرات ، وسمعت المرأة تفتحه وتزجر أحدهم هذا مرارًا ، وتردد لفظة البوليس .. الغريب هنا أنه من

الواضح أن الميجور لم يظهر فى الصورة قط ..
المفترض أن ينزل ليشدّ من أزر زوجة صديقه
المرحوم ، أو كما يقولون فى العامية عندنا :

(يعمل أى منظر) ..

أدركت من الصوت الثانى أن القادم هو بلا شك
ذلك المجنون المتحمس الوقور الذى يبغى طردنا ..

لم أهبط من غرفتى هذه المرة لأننى لست الرجل
الوحيد هنا ، ثم إن مفاهيم (الجدعنة) العربية هذه
لا تسرى فى أستراليا ، ولن ترى المرأة سوى أننى
مجرد طفيلى آخر يهوى التدخل فيما لا يعنيه ..

سمعتها توصد الباب فى شراسة ، ثم سمعت
هدير القرص مما يعنى أنها تنفذ تهديدها بالفعل ..
لكن صوتًا حازمًا جاء من قريب يقول :

- « تمهلى يا (جلاديس) .. »

كان هذا هو الميجور بالطبع ، وفيما بعد أدركت
أنه هبط فى الدرج كى يشرح لها أسبابه : لماذا
لا يجب أن تتصل بالبوليس .. وهى أسباب مقنعة
بالتأكيد لأنها كفت عن المحاولة ..

ولا أدرى يا (ريم) متى سقط القلم من يدى ونمت ..

★ ★ ★

فى اليوم التالى جاء (جيمس شرودر) وزوجته الحسناء (كارلا) ..

كان ذلك فى الصباح المبكر ، وأدركت حين رأيتهما أنهما فى الغالب متحمسان بعنف للإقامة فى المنزل رقم (5) ..

كانا يقدمان عرضًا مهمًّا للعجوز ، والمرأة ترفض باستمرار وإصرار .. هل تعرفين ماذا كانا يطلبان ؟ نعم .. يطلبان الإقامة بشرط إخلاء المنزل لهما .. كيف عرفت ؟ إنك صرت عبقرية هذه الأيام يا (ريم) ..

بالطبع لم تعد الفكرة واردة أصلاً ، لكن المرأة العجوز كانت أقل شراسة فى رفضها .. ربما بسبب أن الزوجين كانا جميلى الشكل مبهرين ، ولكل جمال هيبة كما يقول (توفيق الحكيم) .. كانا بالغى الأناقة ، وبرغم أننى لم أعد أميز هذه الأشياء فإننى أدركت أن الفتاة فاتنة ..

مررت بالزوجين وحييتهما بهزة رأس ، لكنهما راحا يرمقانني بفضول غير عادى ، حتى حسبت أننى نسيت ارتداء البنطال .. ثم همس الشاب للعجوز :

ـ « من هو ؟ »

ـ « هذا ليس شأنك ، لكنى ـ كى أريحك ـ أقول إنه طبيب مصرى .. نزيل عندى .. »

ونظرتُ لهما نظرة ثاقبة ، لكنهما تبادلا النظرات ـ الرجل وزوجته ـ ثم رأيته يهزّ رأسه نافيًا كمن يقول : لا .. ليس هو ..

تباطأت فى الابتعاد لأسمع ما يقول ، فجاءنى صوته الرخيم يسأل العجوز (وأدركت من نغمة الكلام أنه يعرض عليها صورة فوتوغرافية) :

ـ « هل رأيت هذا من قبل ؟ »

ـ « هذا ليس شأنك .. »

ـ « هل جاء يطلب غرفة ؟ »

ـ « إننى أتكلم الإنكليزية أيها الشاب .. »

عاد يقول فى إصرار :

- « لو جاءك يطلب غرفة ، فأنا أنصحك ألا تقبلى هذا شىء لا مزاح فيه .. »

أدركت من الكلام أن المرأة ترى الآن صورة شخص ما غير مرغوب فيه ، لكن من هو ؟ « أنا أتكلم الإنجليزية » .. قالتها بثقة كأنما هى فعلاً تتكلم الإنجليزية ، وكأن (الأسترالية) ليست لغة مستقلة منفصلة ..

كنت قد ابتعدت عن الأصوات ، فرحت أمشى فى الشارع الهادئ أفكر ..

ما معنى هذا كله ؟

لماذا صار المنزل رقم (5) فجأة أهم منزل فى الكون ؟ »

* * *

٣ـ وتجىء (ساندرا) ..

ولماذا الرقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وفى المساء عدت لأسمع ضحكات عالية صاخبة من قاعة الجلوس .. كنت قد تأخرت قليلاً هذا اليوم ، لذا لم أتوقع أن أجد جلسة الشاى إياها ..

اتجهت إلى الدرج ، فقط لأسمع خطوات مرحة وثابتة من ورائى .. واستدرت لأجد فتاة فى العشرين من عمرها تركض حافية ، وهى تلوح بزجاجة يفور الزبد من فوهتها .. فما إن رأتنى حتى بدا عليها الخجل ، وقالت مبهوتة :

ـ « معذرة .. ما كنت أحسب هناك شخصًا آخر سوانا .. »

وفى اللحظة التالية يا (ريم) برزت مسز (بانكروفت) من حجرة الجلوس لترى المشهد ،

فقالت وهى تضغط على صدرها كى تكتم الضحك :

- « أستميحك عذرًا يا د. (إسماعيل) .. لاشـىء يمكنه كبح جماح الشباب .. إن (ساندرا) تحتفل كما ترى ، وإننا لنرحب بانضمامك إلينا .. »

قلت لها فى تعاسة : إننى لا أهوى الحفلات ، خاصة تلك التى توجد بها زجاجات يفور منها الزبد .. ولكن من هى (ساندرا) ؟

طوّقت كتف الفتاة بذراعها ، وقالت :

- « (ساندرا) هى ابنة أعزّ صديقة لى ، وأنا لم ألقها منذ عشرة أعوام .. إننى بمثابة خالتها .. »

وتأملت الفتاة بدقة .. الحق أنها جميلة .. لا ينكر هذا إلا أحمق ، لكنى لم أحبّ عينيها قط ، وبنظرة أدقّ اندهشت من منظر العين فى القرنيتين .. إن عينيها زرقاوان ، لكن إنسانى العين كانا أسودين محددين بدقة ، كأنما هما ثقبان صنعا بدبوس فى العينين .. منظر طبيعى وربما معتاد ، لكنه مزعج إلى حدّ ما ..

حييت الفتاة وصعدت إلى حجرتى ..

لقد صار المنزل رقم (5) أكثر منازل العالم ازدحامًا فيما يبدو .. وإلى حدّ ما أنا مسرور لأن المنزل لم يعد مسكونًا بثلاث مومياوات تنتظر الموت (أنا والعجوز والميجور) ، لكن الأمر صار غريبًا .

هذه العجوز حمقاء إن لم تندهش لهذا كله ..

حمقاء إن لم تتحول دهشتها إلى رعب ..

يوجد لغز ما فى المنزل رقم (5) ، وهذا اللغز جعل الجميع متحمسين للبقاء فيه ..

وما شأنى بهذا على كل حال يا (ريم) ؟ إنهم أستراليون (فى بعض) ، وهم أحرار على كل حال .

كان آخر من جاء يا (ريم) هو (جيسون) وقد جاء فى صباح اليوم التالى ، ودارت بينه والعجوز محادثة قصيرة ..

كان ضخم الجثة كالباب ، يبدو عليه العنف ، ومن الجلى أن المشاجرات تروق له .. وكان وجهه كتلة من الشعر لها لسان أحمر يبرز من مكان ما ، ما بين اللحية والشارب والحاجبين الكثين .. لا أدرى

أين رأيت لوحة كاريكاتورية تمثل سبع البحر ، وكان يبدو كهذا بالضبط ..

كان يقول لها وهو يلوح بإصبع غليظ فى وجهها :

- « اسمعى يا سيدة .. حين يطلب (جيسون) غرفة فهو يحصل عليها .. »

وكانت تقول فى ثبات :

- « ليس لدىّ شىء ، فعد إلى الحانة التى جئت منها .. »

- « إن من يعيشون تحت سقفك لن يقدموا لك خدمة ما .. عليك أن تعرفى أين المصلحة .. »

- « أغرب قبل أن أستدعى رجال الشرطة .. »

ثم توقف عن الكلام حين رآنى ، واتسعت عيناه الشرستان دهشة ، وراح يرمقنى باهتمام .. يبدو أن منظرى أغرب مما تصورت ..

قلت له فى كياسة :

- « يا سيد .. السيدة تعرف إن كانت تريد أن تؤجر غرفة أم لا .. هذا من حقها .. »

هذا هو ما قلت ، حتى لا أجد قبضته الغليظة مدفونة فى وجهى حتى عظمة السرج التركى فى قاع الجمجمة ..

لكن ردّ فعله فاق تصوراتى .. لقد تدلى وجهه ، وهتف بصوت كالفحيح :

ـ « (ميدا) ! هل هذا أنت ؟ » .

قالت العجوز فى اشمئزاز :

ـ « اسمه هو (إسماعيل) .. ثم هذا ليس من شأنك ! »

لكن الرجل واصل النظر إلى :

ـ « (ميدا) ! هل أنت ؟ هل تفهم ما أتكلم عنه ؟ »

قلت وقد بدأت أعتقد فيه الخبال :

ـ « ولا حرف يا سيدى .. وإن السيدة لجادة فى تهديدها .. »

استدار مبتعدًا وهو ما زال يرمقنى من فوق كتفه . حتى غاب عن البصر ، وللحظة حسبت أن شخصيتى

الجبارة هى ما أرغمه على التراجع .. هكذا يجب أن يُعامل الرعاع ، ثم فطنت إلى أن فى الأمر سرًّا لا أدريه ..

وهنا فقط انفجرت ..

صحت فى العجوز :

- « ما سر هذا البيت يا مدام ؟ وما سبب هذا الحماس المجنون للسكنى فيه ؟ »

قالت ما معناه (علمى علمك) ، ثم أطرقتْ قليلاً ، وهمست فى قلق :

- « د. (إسماعيل) .. أصارحك أننى خائفة .. أنا عجوز وحيدة ضعيفة ، وثمة شىء ما شرير يجرى هنا .. »

قلت لها فى حنق :

- « لست وحيدة .. لديك الميجور و (ساندرا) .. »

- « بل إنهما يزيدان الأمور سوءًا .. »

- « ماذا تقصدين ؟ »

أغلقت الباب علينا من الخارج ، بحيث صرت أنا

وهى خـارج المنزل ، ونظرت لأعلى تتأكد مـن أن أحدًا لا يراقبنا من نـافذة ما ، ثم همست :

ـ « إن التشابه تام ، ومعلوماتهما دقيقـة .. لكـن مع الثرثرة الطويلة لابد من أن تفلت تفاصيل تجعلك تتردد .. هل حقًا الأمر كما حسبته ، أم أنـك وقعـت فى خلط مريع ؟ »

بغباء عدت أسألها :

ـ « مازلت لا أفهم .. »

نظرت حولها مرة أخرى لتتيقـن مـن أن أحـدًا لايسمعها ، وهمستْ :

ـ « هذان لا يمكن أن يكونا (ساندرا) والميجور .. هذان الاثنان ممثلان يلعبان دورهما ببراعة ! » م

* * *

٤ ـ هل أنت خائف مثلى ؟!

فتحتْ الباب ، وصاحت :

ـ « (ساندرا) يا عزيزتى .. أنا ذاهبة إلى مكتب البريد لأسأل عن معاشى .. أرجو أن تعنى بالبيت حتى أعود .. أنت ملاك يا عزيزتى .. »

ثم أغلقت الباب وتأبطت ذراعى محاولة ألا تتعثر .. الحقيقة أن مسز (بانكروفت) لم تكن تحب الشارع ، ويبدو أن الشارع لايحبها كذلك .. وانثنى كاحلها تحتها مرة أو مرتين ..

مشينا بضع خطوات فى الطريق الهادئ ، حيث لا أحد إلا الرجل العجوز النائم كالعادة .. فما إن ابتعدنا مسافة كافية حتى نظرت للوراء ، وهمست :

ـ « حتى لا يسمع أحد ما نقول .. »

ولم أكن بحاجة للشرح على كل حال ، فالأمر واضح .. لكنى لا أطيق أن أمشى فى الشارع وقد تأبطت امرأة ذراعى ، خاصة إذا كانت خادمة الملكة (أيّاح حتب) ..



ولم أكن بحاجة للشرح على كل حال ، فالأمر واضح .. لكننى لا أطيق أن أمشى فى الشارع وقد تأبطت امرأة ذراعى ..

سألتها وأنا ألهث لأنها تتشبث بذراعى بقوة :

ـ « ما الذى يدعوك إلى الظن بأن هذين يتصنعان ؟ »

قالت وهى تلهث بدورها :

ـ « ثمة أخطاء صغيرة فى كلامهما لاتروق لى ..

أخطاء لا يهمك أن تعرفها ، لكنها كثيرة .. مثلاً زوجى لم يذق الخمر فى حياته بينما الميجور يحكى عن ولع زوجى بالويسكى .. صديقتى لم تكن تعرف كيف تصنع فطيرة التوت ، و (ساندرا) تحدثت عرضًا عن فطيرة التوت التى أعدّتها أمها .. أشياء من هذا القبيل ..

« إننى صرت عجوزًا سهلة الخداع ، ويبدو أن هناك من يعرف أننى لم أر الميجور من عقود ، ولم أر (ساندرا) منذ كانت فى العاشرة من عمرها .. لكن يظل السؤال هو : كيف يعرف هذان كل هذا عنى ؟ »

كنا الآن فى شارع رئيسى تتسابق فيه السيارات ـ على اليسار كالعادة ـ ولاحظت أنها تقصد مكتب البريد فعلاً .. لعلها تحسب هناك من يراقبها إذن .. سألتها :

ـ « وما الذى يدفع هذين لانتحال شخصيتين ؟ »

ـ « لنفس السبب الذى جاء من أجله الآخرون .. إنها الطريقة المثلى للمبيت تحت سقف البيت .. أنت تعرف أننى طردت كل من حاول السكنى هنا ما عداك .. ويبدو أن هناك من فهم أن الحيلة هى السبيل الوحيد .. »

سرنى أنها بدأت تلاحظ .. فكففت عن السير وسألتها :

ـ « مسز (بانكروفت) .. لاحظت أن هناك حماسًا شعبيًّا غير مسبوق للإقامة عندك .. فهل تعتقدين أن هناك سببًا محددًا لهذا الحماس ؟ »

ـ « لا أعرف .. »

ـ « هل البيت مشيد فوق كنز أو شىء من هذا القبيل ؟ »

ـ « لا أعرف .. إنه قديم جدًّا ، لكن لا توجد أية أسطورة تحيط به لو كان هذا ما تقصد .. »

ساد الصمت من جديد ، وبعد تفكير سألتها :

ـ « ماذا تنوين عمله ؟ »

ـ « لو كنت أعرف لما سألتك .. »

هذه هى المشكلة .. ليست المبارزة مبارزتى ، لكنها مصرّة على أن تناولنى السيف وتتنحى .. وعلىّ أن أقول شيئًا رائعًا مقنعًا لا أبدو به سخيفًا .. قلت لها :

ـ « لم لا تطلبين الشرطة ؟ »

ـ « ثمة احتمال واه أن يكون هذان هما الميجور و(ساندرا) وقد خانتهما الذاكرة .. أعتقد أنه سيكون موقفًا سخيفًا .. »

انتابنى الغيظ ، فقلت لها :

ـ « إذن ما المطلوب منى ؟ »

ـ « أن تبقى معى .. أشعر بالخوف الشديد .. فهل أنت خائف مثلى ؟ »

ـ « ليس تمامًا .. ثم إن وقت إقامتى قد أوشك على الانتهاء .. إن هى إلا أيام وأرحل .. ولا أرى أن .. »

فتحت كيس نقودها ، ووقفت أمام أحد باعة الصحف ، وانتقت جريدة الصباح وقالت :

- « نعم .. معك حق .. أحيانًا أتمنى أن يكون لى مكان آخر أذهب إليه .. من الجميل أن يترك المرء كل المشاكل ويركب طائرة ويحلق مبتعدًا .. »

وفى هذه اللحظة مرت بنا سيارة مسرعة ، بعثرتْ بعض ماء الأمطار السابقة المحتشد على جانب الرصيف فى وجهنا .. كدت أطلق السباب لولا أننى تصلبت حين رأيت من فى السيارة .. إنهم أربعة أفراد .. السائق هو الأخ الشرس الذى عرفناه باسم (جيسون) ، وجواره الرجل الوقور الذى يريد طردى ، وفى المقعد الخلفى يجلس الزوجان الجميلان ..

هذا غريب !

إذن كل هؤلاء السادة متعارفون وعلى علاقة وطيدة .. إذن لماذا يأتون منفردين ؟

لم تر العجوز ما رأيت فقررت ألا أخبرها ، فهى لن تستنتج من هذا شيئًا مفيدًا ، وفى الغالب سيتوقف قلبها ذعرًا ..

★ ★ ★

فـى المسـاء دقّ أحدهـم علـى بـاب غرفتـى ، فتنحنحتُ .. لم يفتح الباب برغم أنه من الواضح أن النحنحة ذات مدلول عالمى ..

ـ « ادخل ! »

كذا صحت فى عصبية ، فـانفتح البـاب .. بـالطبع لم تكن العجوز لأنها لا تدخل حجرتى إلا نهارًا ، ولـم يكن الميجور لأنه لا يطيق رؤيتى .. كانت (سـاندرا) طبعًا ..

توجستُ خيفةْ لرؤيتها لأننى ـ كما قلت ـ لم أحبَّ وجودها قط ، ولم أستطع قبول الاعتقاد العام بأنها رائعة ..

كانت ترتدى بلوزة سوداء وتنورة رمادية أنيقة ، وبدا لى أنها فرغت حالاً من الأكل لأنها كـانت تلـوك شيئًا ما ..

دنت منى وتأملت أوراقى فى دلال ، وقالت :

ـ « ما هذا الذى تكتبه ؟ »

ـ « مذكرات .. »

راحت تمرر إصبعها على الحروف كطفل وقالت :

ـ « هل هذه هى اللغة العربية ؟ كيف تقرءونها ؟ »

ـ « كما يقرأ الهنود الأوردية ، واليابانيون اليابانية .. »

ـ « وما معنى هذا المكتوب ؟ »

قلت فى صبر :

ـ « معناه : أننى لا أرحب أبدًا بمن يقتحم خلوتى ليسألنى عما إذا كنت أكتب بالعربية ! »

والحق أن تصرفها بدا لى غير لائق .. دعك من موضوع أننى رجل .. فهم هنا لا يعلقون أهمية على هذه الأمور ، ثم إننى أبدو كمومياء .. السخيف هنا هو اقتحام الحجرة دون استئذان .. التطفل على خصوصية شخص غريب تمامًا عنها ..

وتأملتُ عينيها فى ضوء المصباح ، فازددت رعبًا .. من جديد أشعر كأن إنسانى عينيها ثقبان فى جدار العين .. وقد جعل الضوء اللون الأزرق يبدو كأنما يتوهج ..

قالت بلهجة جادة حازمة :

ـ « دعك من المزاح وقل لى .. كم من الوقت تزمع البقاء هنا ؟ »

قلت لها مندهشًا :

ـ « ليس كثيرًا .. لماذا ؟ »

قالت ضاغطة على كل حرف :

ـ « لو كنت تنوى البقاء حتى العشرين من مارس ، فلا تفعل .. أنصحك ألا تفعلْ .. غادر هذا المنزل كأن الجحيم يطارك ! »

تجمد الدم فى عروقى هلعًا ، وسألتها متوجسًا :

ـ هل لى أن أعرف السبب ؟ »

ضغطتْ بأسنانها على شفتيها فى عصبية ، إلى درجة أن الدم راح يسيل منها .. وقالت :

ـ « لن أتكلم أكثر .. ولكن لا تقل إننا لم ننذرك ! »

ثم مدت يدها فالتقطت أحد المناديل الورقية التى أضعها أمامى ، وضغطت به على شفتها السفلى واستدارت مغادرة الغرفة ..

تاركة إياى أرتجف كالورقة ..

كنت دائمًا أقول إن الخطر المعنوى أشد إيذاءً من الخطر المادى .

وما كان تهديد الفتاة نفسها ليثير ذعرى ، لكن الغموض الذى توحى به كلماتها هو ما جعل قلبى يرتجف ..

العشرون من مارس ! هذا هو الموعد المرتقب .. لأى شىء بالضبط ؟

لا أعرف حقًا .. لكن علىّ أن أفرّ من هنا قبله ..

ونظرت إلى التقويم على الجدار ..

كان هذا هو اليوم السادس عشر من مارس .. وبعد ساعة سوف أنزع هذه الوريقة ، ويبقى على الموعد ثلاثة أيام ..

★ ★ ★

ثلاثة أيام !

ولكن على ماذا ؟

★ ★ ★

٥ ـ ستة وواحد ..

قررت أن يكون اليوم التالى إجازة ..

أنت تعرفين يا (ريم) أن الهدف الذى جئت من أجله شارف الانتهاء ، وأن قضية المنزل راحت تؤرقنى ..

فى الصباح استيقظت على راحتى ، وكنت قد نمت طويلاً بعدما سهرت إلى ساعة متأخرة .. غادرت المنزل ومشيت فى الشارع الهادئ المبتل من أمطار ليلية ما ..

لم تكن المدينة فى الشوارع ، فهى ساعة متأخرة من النهار حيث الكل فى عمله .. مشيت الهوينى قاصدًا دار البلدية ..

لماذا دار البلدية ؟ لأننى قد أظفر بمعلومات عن هذا البيت الغامض .. أنت تعرفين أن كل هذه البيوت فى قصص الرعب بنيت فوق مقبرة هندية قديمة

ـ لم يكن هناك هنود فى استراليا ـ أو فوق كنز من كنوز الإزتك ، أو يخافها الناس لأسباب تطول ..

لم أجد ما أردت بسهولة ، بالإضافة إلى أن التفاهم عسير جدًا معهم هنا برغم أننا نستعمل نفس اللغة الإنجليزية ، وفى النهاية تطوّع موظف متحمس بأن يبحث لى عن المعلومات التى أردتها .. وكانت النتيجة مهمة :

أولاً : لاتوجد أية أساطير تحيط بالمنزل ..

ثانيًا : تم بناؤه عام ١٨٨٤ .. أى أنه يدنو من مائة عام الآن ..

ثالثًا : صاحب المنزل القديم يُدعى (ألفرد أوسبورن) ، وهو آخر من امتلك المنزل بعد أبيه ، ولم يتزوج أو ينجب ، وقد سافر إلى إنجلترا بعد الحرب .. لكنه باع المنزل عام ١٩٤١ لآل (بانكروفت) .. ولم يكن ساحرًا ولا ممن يأكلون لحم الأطفال ، وبالطبع لم يبع روحه للشيطان ..

المنزل ليس أثرًا وليس تحفة فنية ، ولا تعلق عليه البلدية أية أهمية ..

شكرت الرجل على هذه المعلومات القيمـة .. نعم هى قيمة من حيث النفى .. وأنـا طبيب وأعرف أن نتيجة اختبار الورق النافية قد تكون أكثر أهمية مـن النتيجة المؤكدة ..

لا أهمية للبيت ولا يوجد خطر يحوم حوله ..

إذن لماذا يصرّ هؤلاء السادة على السكنى فيه ؟

* * *

وفى اليوم التالى كنت عـائدًا إلـى المنزل حوالـى الواحدة ظهرًا ، وأنا قد عدت إليه فى كل وقت ممكن ما عدا ما قبل الثالثة بعد الظهر .. فهذا إذن طـور زمنى لم أشرف بالتواجد فيه قط ..

كنت الآن عند بداية الشارع ، وكـانت الإشـارة خضراء تسمح بمـرور المـارة .. توقفت لحظـة كـى أحكم معطفى حول جسدى ، وكى لا أتجمد ..

علـى الجهـة الأخرى مـن الطريـق ، لمحـت الشـكل المميز للعجوز تـهمّ بالمرور ..كانت تحمل حقيبة السوق

السوداء المطرزة بالكانفاه ، وقد بدا عليها الهمّ والشرود .. كانت غارقة فى محيط أفكارها .. ولكنها ـ على الأقل ـ كانت تعرف أن الإشارة تسمح بالمرور ، والشارع لم يكن مزدحمًا على كل حال ..

هنا يا (ريم) ـ كما يحدث فى أفلام الرسوم المتحركة ـ برزت من لا مكان سيارة مندفعة زلزلت أرض الشارع زلزلة ، ووضعت السيدة قدمها على الأرض ، حين عرفت على الفور ما سيحدث ..

رفعت كفىّ صارخًا ..

ـ « مسز (بانكروووووفت) ! »

لكن السيارة كانت أسرع من الصوت .. أسرع من صرختى ، وسرعان ما طارت العجوز فى الهواء ، واندفعت السيارة مبتعدة ، وكانت لوحتها الخلفية أكثر ازدحامًا بالأرقام من أن أتذكره ..
وجريت عابرًا الطريق إلى كومة الثياب التى كانت مسز (بانكروفت) من دقائق ، وطار عقلى شعاعًا .. ثمة لمسة درامية مخيفة فى الموت المفاجئ ، وهو بالتأكيد يختلف كثيرًا عن الموت البطيء الذى

يستغرق شهورًا أو أيامًا ، مع الكثير من الأنين والسعال والوصايا .. لمسة درامية تبرر هذه الرجفة فى ساقىّ وضربات قلبى المضطربة ، ويدى التى عجزت تمامًا عن الوصول إلى علبة أقراص (النتروجلسرين) فى جيب البذلة تحت المعطف ..

ركعت جوارها ، وكانت فاقدة الرشد ـ طبعًا ـ لكنها لم تمت .. ثمة كسور لا بأس بها فى عدة مواضع ، ونزف داخلى فى الغالب لكنها كانت تتنفس ..

ووقف بعض المارة يرمقون المشهد فى لامبالاة ، باعتبار أن من حق أى إنسان أن يموت فى الشارع ، وكأن التدخل قلة ذوق وافتقار إلى التهذيب ..

صحت فيهم أن يطلب أحدهم الإسعاف بحق السماء ، وظهر رجل شرطة عابس من مكان ما وسألنى أسئلة تقليدية عن السيارة .. أوصافها .. إلخ ..

أخيرًا جاءت الإسعاف ، وعرفت أنه ليس من حقى الركوب مع العجوز لأنه لا مكان لى .. هكذا عرفت اسم المستشفى وركبت أول سيارة أجرة قابلتها ولحقت بالمصابة هناك ..

* * *

لابد أن الأمر استغرق دهورًا يا (ريم) ، لكن الساعة قالت لى إن ثلاث ساعات مرّت ، حتى سمح لى بالدخول إلى غرفتها ..

كانت مضمدة كالمومياء ، وكمية من الجبس تصلح لبناء معبد فرعونى ، ولكنها كانت تتنفس وتبتسم ..

دنوت منها متهيبًا وسألتها سؤالاً سخيفًا :

ـ « كيف حالك يا مسز (بانكروفت) ؟ »

ضحكت لثانية ، ثم آلمتها الجروح فتأوهت ، وقالت :

ـ « آى ! حالى كما ترى .. لكن هؤلاء السادة لم يعلموا أية عجوز صلبة هى أنا .. »

ثم نظرت لى بعينيها الزرقاوين الرماديتين المنهكتين ، وقالت :

ـ « هل ستعود للإقامة فى المنزل ؟ »

قلت لها وأنا أمرّر عنقى عبر غابة الخراطيم المحيطة بها :

ـ « ليس لى مكان آخر أذهب إليه .. وفى الغالب سأؤجل سفرى قليلاً حتى أتأكد من أنك بخير .. »

قالت فى حزم :

ـ « لاتبق فى المنزل ! »

ـ « ولكن .. الإيجار .. و ... »

ـ « دعك من هذه السخافات .. اذهب الآن واجمع حاجياتك ، ثم ابحث عن أى فندق .. لو اضطررت إلى المبيت فى الحديقة العامة فلاتتردد .. »

فكرتُ هنيهة ، ثم قلت :

ـ « لم أخطر الميجور و (ساندرا) بعد .. »

ـ « لاتفعلْ .. إنهما على كل حال يعلمان ! »

ـ « إذن أنت وحدك فى هذا العالم ؟ »

ـ « أنا وحدى .. لكن الرب معى .. فلن أخاف .. »

ـ « ولماذا لا أبلغ (ساندرا) على الأقل ؟ »

ـ « لا تفعل .. وكن حذرًا ! »

باختصار تريد منى السيدة أن أنسى الأمر برمتـه .. وهـذا شىء يصـعب ابتـلاعه لكنـهـا إرادتـهـا على كـل حـال ..

جاءت الممرضة تطردنـى كالعـادة ، فحييـت مسـز (بانكروفت) ، وغادرت المستشفى مبلبل الأفكـار .. تعرفين يا (ريم) هذه المواقف طبعًا وتعرفين كيـف يبدو المرء حينـها ..

★ ★ ★

لم يلقنى أحد فى المنزل حين وصلت إليه بعد قليل .. وسرنى هـذا ، فـاتجهت إلـى حجرتـى وجلسـت علـى الفراش شارد الذهن .. ربما ظلت هكذا نصف ساعة أو أكثر ..

جميعهم يريد أن أرحـل .. العجـوز .. و(ساندرا) .. ويبدو أننى سأفعل هذا .. يبـدو غريبًا أن أترك العجـوز فى هذه الظروف ، لكن لا حيلة لى .. سأحزم حقائبى و ...

ومن جديد تحرك الفلاح الرابض فى أعماقى يسألنى

عن (الجدعنة) والشهامة .. المرأة لا رفيق لها بين البشر ، وهى عجوز وفى خطر .. فماذا يكون موقفك ؟

فى النهاية وجدت حلاً وسطًا .. سأبقى فى المنزل يومين أو ثلاثة حتى تتضح الأمور ، وبعدها يمكن أن أرحل بضمير مستريح .

ومطمئنًا لقرارى يا (ريم) غادرت الغرفة .. قررت أن ألقى الميجور و (ساندرا) لأبلغهما بما حدث للعجوز ..

نزلت إلى قاعة الجلوس وتنحنحت ثم دخلت ، متوقعًا ألا يكون هناك أحد ، أو على الأقل الفتاة فقط .. لكنى صُدمت ..

كان الجميع جالسين ..

(ساندرا) و(جيسون) والميجور والزوجان اللطيفان والرجل الوقور المتحمس .. ستة من الضيوف غير المرغوب فيهم يجلسون الآن فى غرفة جلوس المرأة التى طردت أربعة منهم ..

نظرت حولى فى ريبة .. كانوا جالسين فى استرخاء بثياب مريحة ، وقد انهمك اثنان فى مطالعة الصحف ، بينما الفتاتان تتسليان بالحياكة .. ورفعوا عيونهم نحوى فى برود كأنما يقولون : ثم ماذا تريد هذه المرة ؟

سعلت لأسلّك حلقى ، ثم قلت موجهًا الكلام لـ (ساندرا) :

ـ « مسز (بانكروفت) فى المستشفى .. حادث سيارة .. »

ابتسمت وقالت فى رسمية :

ـ « أعرف .. شكرًا .. ثم ماذا ؟ »

ـ « حسبت أن من واجبى إبلاغك .. »

ـ « أكرر أننى أعرف .. »

وهنا تدخل الميجور ليقول فى لهجة عسكرية جافة ..

ـ « متى تنوى الرحيل ؟ »

غلى الدم فى عروقى ، وقلت ضاغطًا على كلماتى :

ـ « لا أنوى .. »

ـ « لا أحد يريدك هنا أيها الشاب .. »

شاب ؟ حقًّا شاب .. حتى (رفعت إسماعيل) يمكن أن يبدو شابًّا بالنسبة إلى هذا الرجل .. قلت فى عصبية :

ـ « لقد استأجرت غرفتى من مسز (بانكروفت) ، وهى وحدها صاحبة الحق فى طردى منها .. وإن لم تخنى الذاكرة فأنتم جميعًا مثلى ضيوف على هذا المنزل .. »

هم (جيسون) بالنهوض ـ ليحطم رأسى طبعًا ـ لكن الرجل الوقور أمسك بمعصمه بما معناه (دعه وشأنه) ، وقال فى هدوء :

ـ « ربما كنا نأمل فى أن تغير قرارك هذا يا د. (إسماعيل) .. »

ثم هزّ رأسه محييًا ، فهززت رأسى بالمثل ، وصعدت إلى غرفتى من جديد ..

* * *

وفى غرفتى ـ كالمجنون ـ أخرجت ورقة ورحت أخطّ عليها الاحتمالات المختلفة .. طبعًا تحولت الورقة إلى حشد من الخطوط المتعرجة والأسهم .. هذا هو ما يفضى إليه الأمر ..

صارت الأمور الآن واضحة فى ذهنى .. العجوز صدمتها سيارة بفعل فاعل .. لم يكن حادثًا .. من الفاعل ؟ طبعًا هو واحد من هؤلاء الستة لطاف المعشر .. بل يمكن إخراج (جيسون) من الموضوع لأن السيارة التى دهمت العجوز لم تكن سيارته .. أعتقد بشكل ما أن الزوج الوسيم هو من فعلها ، لأن الرجل هادئ الطباع الوقور لا يملك سيارة ..

الهدف : كانت طريقة متحمسة لإرغام العجوز على ترك منزلها .. هذا هو (العرض الذى لا يُرفض) بلغة رجال المافيا ..

وبالتالى صار الباب مفتوحًا لدخول أربعة غير مرغوب فيهم هم (جيسون) والزوجان والرجل الوقور ، وقد صار البيت بيتهم ..

لماذا ؟ لو كنت أعرف لما جلست فى حجرتى وحيدًا ، أخط على الورق أشكالاً لا معنى لها ..

هذا البيت خطير ..

لكنى لن أغادره بهذه السرعة ..

* * *

٦ ـ مفاجأة غير سارة ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

* * *

صباح اليوم التالى قصدت المستشفى .. مهما حدث يشعر الطبيب بألفة ما مع جو المستشفيات ورائحة المطهرات وثوب العاملين الأبيض ، تلك الأشياء التى قد تغرى غير الأطباء بالقىء ..

كانت العجوز فى حالة طيبة .. إن رئتيها سليمتان وجمجمتها لا بأس بها .. فلا خطر عليها إلا من جلطات الساقين ، وهذه سوف تعلن عن نفسها يومًا ما فى دورة المياه بعد أول خطوات لها خارج الفراش .. ستسقط ميتة ببساطة ، ما لم يكن التمريض هنا يعرف ما يفعله ..

سألتنى :

ـ « أما زلت فى المنزل ؟ »

هززت رأسى أن بلى ..

- « إنك عنيد .. وماذا قالوا لك ؟ »

- « كلهم هناك ، وقد طلبوا منى الرحيل .. »

- « افعل كما طلبوا منك .. »

بالطبع لا توجد صيغة مثنى فى الإنجليزية ، لذا لم تكن تعنى (قالوا لك ـ طلبوا منك) بل تعنى (قالا لك ـ طلبًا منك) ..

وأعتقد أنها لم تخمن أننى أستعمل صيغة الجمع متعمدًا .. لم أرد أن أضايقها أو أن يجنّ جنونها .. ستصاب بنوبة قلبية لو عرفت بنبأ الزوار المتطفلين ..

اطمأننت عليها وغادرت المستشفى ، وفى طريقى إلى المنزل ابتعت بعض الصحف ، ومشيت أفكر فى هذه القصة ..

فلوب فلوب ! خيل إلىّ أن بعض الغبار تناثر فى وجهى من الحائط الذى كنت أمشى جواره .. لكن هذه أشياء صغيرة ..

كان الطريق خاليًا .. نظرت إلى اليمين لأتأكد ثم إلى اليسار .. أكثر من مرة كادت السيارات تدهمنى لأننى أنسى أن هؤلاء القوم يقودون سياراتهم إلى يسار الطريق ..

لا بأس .. أتهيأ للعبور..

وفجأة نظرت إلى يسارى ـ كأنما بحافز خفى ـ فوجدت السيارة الزرقاء تعوى ذلك العواء المزعج الذى نسميه عندنا فى مصر (طلعة أمريكانى) وتسمية دول الخليج (تفحيط) .. ورأيتها قادمة نحوى بسرعة جهنمية ..

طبعًا لو لم أنظر لما كنت هنا أكتب هذه السطور ، لكنى مُنحت جزءًا على ألف من الثانية استطعت خلاله أن أثب إلى الرصيف ، وأهوى أرضًا ، بينما السيارة تمرق كسهم أزرق فى الموضع الذى كنت فيه حالاً ..

سائق ؟ لا يوجد سائق طبعًا يا (ريم) ..

كل السيارات التى تبرز فجأة من العدم لا يقودها سائق ..حسبت هذا مفهومًا ومتفقًا عليه ..



لكنى مُنحت جزءاً على ألفٍ من الثانية استطعت خلاله أن أثب إلى الرصيف ، وأهوى أرضاً ، بينما السيارة تمرق كسهم أزرق فى الموضع الذى كنت فيه حالاً ..

أرقام ؟ مستحيل قراءة أرقام حين تنطلق السيارة بهذه السرعة ، وحين وقفت على قدمى الراجفتين ، كانت السيارة فى عداد الأوهام ..

يا لى من ساذج !

أنا العقبة الأخيرة فى طريق هؤلاء القوم ومشروعهم الغامض ، وهم كادوا يقتلون العقبة الأولى - العجوز - فكيف غاب عنى أن الخلاص منى أمر بديهى منطقى ؟ »

* * *

فلوب فلوب ! خيل إلىّ أن بعض الغبار ..

* * *

صوت (الفلوب) هذا ليس غريبًا علىّ .. إذن كان هناك من يصوّب علىّ بندقية بتلسكوب كاتمة للصوت ، ولابد أن يده اهتزت لأن الطلقة أصابت الجدار على بعد سنتيمترات من رأسى ..

ليكن .. لايمكن إثبات شىء من هذا لدى الشرطة ، لكن الأمور نحتْ منحى خطيرًا ، وقد حان وقت

التخلى عن رسالتى ؛ لأن القبور تعج بالشجعان كما يقولون ، فلن يكسب أحد شيئًا من قبر جديد ..

وهكذا اتجهت إلى المنزل حريصًا على أن أبقى فوق الإفريز قدر الإمكان ، وأن أجدّ السير متجنبًا الحركة المنتظمة التى يصعب التنبؤ بها ..

وصلت إلى البيت دون أحداث ، ففتحت الباب ودخلت ، ولم يكن ثمة أحد فى المدخل ولا قاعة الجلوس ..

لاهثًا صعدت إلى حجرتى ، وبدأت أحزم أشيائى .. استغرق الأمر نصف ساعة ، وفى النهاية حملت الحقيبة الثقيلة مترنحًا ورحت أهبط فى الدرج ، محاذرًا أن أزل فيدق عنقى ..

كان الباب الرئيسى موصدًا ، فعالجت قفل (اللاتش) كى أفتحه لكنه أبى أن يتحرك ..

غريب هذا .. أخرجت مفتاحى ودسسته فى الثقب ، فأبى أن يدخل .. جربت مرارًا يا (ريم) لكن لاجدوى ..

وانتصب الشعر الباقى على جانبى رأسى رعبًا ..

لقد بدَّل أحدهم قلب (الكالون) ، ولم يعد لمفتاحى قيمة ..

لا بأس .. كنت أتوقع تصرفًا كهذا .. ربما لم يفطنوا إلى أننى داخل المنزل ولست خارجه ، وقاموا بالتبديل فى هذه اللحظات ..

لكنى كنت أعرف الحقيقة ..

هم يعرفون أننى داخل المنزل .. لا بد أن يكونوا مصابين بالصمم كى لا يسمعوا الضجة التى أحدثتها منذ جئت ..

هؤلاء القوم قد سجنونى هنا عامدين ..

فلماذا ؟

والسؤال الأخطر هنا هو : هل هم بداخل البيت الآن أم خارجه ؟

* * *

لأسباب أعتقد أنك تفهمينها يا (ريم) ؛ قررت ألا أبدأ الصراخ كالحمقى ، قائلاً إن هناك خطأ ما ، وإن قفل الباب تغير ، وإننى راغب فى الرحيل ..

قررت أن أعتمد على نفسى .. فما حكَّ جلدك مثل ظفرك ..

كانت هناك نافذة بالطابق الأرضى ، لكنها مدعمة بالحديد لأن المسز (بانكروفت) عجوز وحيدة ، لابد أن يداهمها لصّ ويذبحها يومًا ما ..

هناك المطبخ ، وهو فى مؤخرة المنزل ، ويطلّ على شرفة جميلة تطلّ بدورها على حديقة مهندمة كانت العجوز تحبها كثيرًا .. الشرفة تقودها أربع درجات إلى الحديقة ..

وهكذا تخليت عن الحقيبة العزيزة ، ومشيت كالحنكليس ـ لا أعرف ما هو ـ نحو المطبخ ، وأنا أتمنى ألا أجد العزيز (جيسون) يعدّ لنفسه بعض الشاى هناك .. أنا نفسى أفعل هذا فى المطبخ الصغير بالطابق العلوى ..

نظرت إلى المطبخ الفسيح فلم أر أحدًا .. كان هناك قط رمادى يرمقنى فى فضول ، وأنا لا أذكر أن العجوز كان لديها قط ، لكن هذا من حقها ..

كان هناك سكين كبير براق بدا لى مغريًا ، ثم عدلت عن حمله .. هكذا يبدأ الأمر بالبارانويا ، ثم يستحيل علىّ إقناع البوليس بقصتى .. تـرى هل أستراليا تنفذ عقوبة الإعدام ؟

لاداعى للسلاح .. إنـه يغرى بـالتهور والحلـول العنيفة ، بينما أنا فعلاً لست فى خطر ملموس ..

ثمة كعكة اقتطع ربعها علـى (رخامـة) المطبـخ ، وثمـــة طبــق به بعض قطـع اللحم التى بقيت مـن وجبـة مـا .. والثلاجـة تـئز كعادتهـا .. لكـن لايوجـد بشر هنا ..

ها هوذا الباب .. أمدّ يـدى إلى مقبضـه وأديره .. لكنه لايدور .. أرجّه رجًا لا يستجيب ..

إنـهم لم ينسوا شيئًا إذن ..

لكن الأمر لم ينته بعد ..

الـهاتف ؟ ربما لو ..

هنا سمعت صوت (ساندرا) تقول :

ـ « لا تتعب نفسك يا بروفسور .. لقد تأكدنا من كل الاحتمالات ، ورتبنا كل شيء ! »

★ ★ ★

كانت واقفة عند باب المطبخ وقد استندت بظهرها إليه ، في وضع (بروفيل) كان يمكن أن يكون فاتنًا في ظروف أخرى .. ولم تكن تنظر لي على الإطلاق ..

وواصلتْ كلامها وأنا أرمقها في غباء :

ـ « قد أنذرتك لكنك ركبت رأسك .. والآن يجب أن تبقى معنا ! »

قلت مرتبكًا :

ـ « عم تتكلمين ؟ إن العشرين من الشهر لم يأت بعد ؟ »

ـ « الاستعداد يبدأ من التاسع عشر .. »

ثم نظرت إلي وقالتْ في حزم :

ـ « الآن عُدْ لغرفتك أرجـوك ، ولاتضطرنـى إلـى استدعاء (جيسون) ! »

لا .. ليس (جيسون) أرجوك !

سأكون طفلاً مهذبًا ..

سأعود إلى غرفتى ..

★ ★ ★

٧ ـ علامات لها مغزاها ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وفى حجرتى تمددت على الفراش أرمق السقف ، والأفكار تدوى فى ذهنى كما يحدث فى الأفلام السينمائية ..

« يجب أن تقبلى يا سيدتى .. يجب .. »

« أنا أنصحك ألا تقبلى .. هذا شىء لامزاح فيه .. »

« (ميدا) .. هل هذا أنت ؟ »

« كيف يعرف هذان كل هذا عنى ؟ »

« لا أحد يريدك هنا أيها الشاب .. »

« مسز (بانكروووووفت) !

طبعًا لعبت الأفكار دور العاديات اللاتى فرشن لى

هراسًا به يُعلى فراشى ويقشبُ ، كما يقول عمنا (النابغة الذبيانى) .. وهى صورة رائعة بالفعل .. تحوّل الفراش إلى أرض معادية كلها أوتاد ودبابيس ، حتى صار من المستحيل أن أتظاهر بالاسترخاء ..

نهضت من الفراش ، وبحذر فتحت باب الحجرة ..

لم يكن من أحد هناك ..

مشيت فى الممر أتأمل الغرفات على الجانبين .. كانت بعض الأبواب مفتوحة ، وقد صار جليًّا من الحقائب الموضوعة أو التى تبعثرت محتوياتها ؛ أن كل واحد من الضيوف اتخذ غرفة لنفسه .. إنهم يحتاجون إلى خمس غرف ، ولربما اتخذت الفتاة غرفة نوم مسز (بانكروفت) ، ولربما نام الأخ (جيسون) فى الحمام ..

الفضول قتل القط .. لا أدرى لماذا يعود هذا المثل إلى ذاكرتى أكثر من مرة هذه الأيام ..

لم يكن هناك خطر ما ، وبدا أنه ما من أحد يرانى أو يشعر بى ، فهم يتعاملون بثقة شديدة فى النفس ..

دنوت من أقرب غرفة ، وكانت مفتوحة ، وبحذر خطوت ثلاث أو أربع خطوات لأجد نفسى فى وسطها .. جوار الفراش ..

توجد حقيبة مفتوحة جوار الفراش ، وقد فرغت من نصف ما كان بها .. من الواضح أن هذه حجرة رجل لا امرأة .. وهى مهندمة لا توحى بأن خنزيرًا سكنها .. إذن ـ بالاستبعاد ـ هى حجرة الرجل الوقور أول من جاء يطلب السكنى ..

بيد باردة كالثلج رحت أقلب محتويات الحقيبة .. لا شىء إلا حقيبة رجل متأنق .. قمصان تم كيها بعناية .. بعض العطور .. آلة حلاقة كهربية ..

اتجهت إلى خزانة الثياب الجدارية ففتحتها ، ولم يكن بها سوى بذلتين معلقتين وبضع قبعات ..

عم تبحث يا (رفعت) ؟ هل تتوقع أن تجد دمية غرست فيها الدبابيس ، أو رءوس (تساتنسا) منكمشة ، أو نجمة خماسية مرسومة على الأرض ؟ لا يبدو أن الرجل من (أهل ذلك) ، وحتى إن كان من (أهل ذلك) فلن يضع هذا فى غرفة مفتوحة ..

اتجهت إلى الكومود بجوار الفراش وفتحته .. أصابتنى دهشة عارمة لأننى وجدت فى الدرج قلادة .. قلادة غريبة الشكل لم أر مثلها قط .. كانت لدىّ صورة فوتوغرافية لها يا (ريم) لكنى أضعتها بعد كل هذه السنوات .. لا أعرف كيف أقرّب وصفها لك .. كانت تشبه بقعة من الدم المتجمد اللامع البراق .. كلا .. لم يكن هذا حجرًا كريمًا أعرفه .. والأَغرب أننى حين لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من بريقها .. ربما كان هذا وهمًا ..

وربما لم يكن ..

وأنت تعرفين فضولى يا (ريم) .. ببساطة دسست القلادة فى جيبى لأدرسها فيما بعد ..

حان وقت الرحيل الآن ..

لقد كنت سعيد الحظ حتى هذه اللحظة ، لكن موقفى سيكون غاية فى العُسر لو عاد الرجل الآن ..

لكن قدمىّ لم تطاوعانى ..

ركعت بجوار الفراش ، ونظرت تحته لأرى



كلا .. لم يكن هذا حجراً كريمًا أعرفه .. والأغرب أننى حين لمستها شعرت بأنها فقدت الكثير من بريقها ..

ما هنـالك .. لـم تكن ثمة أحذيـة ، لكنـى وجدت أداة غريبة الشكل .. هذه لدىّ صورتها ويمكنك أن تريها متى أردت .. إنها تشبه قلمًا طويـلاً مـن الأبنـوس ، لكنها ليست كذلك ..

وكالعادة دسستها فى جيبى ..

الآن صار الرحيل ضروريًا ، وهذه المـرة استجابت ساقاى ..

★ ★ ★

كانت غرفة أخرى مفتوحة ، ومن جديد عاد الصراع بين الواجب والعاطفة كما فى أفلام (توجو مزراحـي) القديمة .. الصوت فى مؤخرة عنقى يصـرخ : باللـه عليك ! كُفّ عن هـذا اللعب بالنــار ! أنـت الـذى لـم يستطع أبدًا فهم لماذا تنزل بطلة الفيلم الحمقاء ليـلاً إلى القبو الملىء بتوابيت مصاصى الدماء ..

فيجيب الصوت الآخر فى مقدمة رأسى : إن نسـمة واحدة لا تكفى لتحديد اتجاه الرياح ، ونقطـة واحـدة لا تسمح برسم خط ..

لا بد من غرفة واحدة أخرى على الأقل !

وهكذا أدخل الغرفة ، وأدرك من الجو الأنثوى العام فيها أنها غرفة الزوجة الحسناء .. (ساندرا) لا تقيم هنا .. ومن الواضح أن الزوجين يقيمان منفصلين ..

كان أول ما فعلت هو أن جثوت لأنظر تحت الفراش ، وبالفعل وجدت القلم الأبنوسى إياه .. هذه علامة مهمة إذن .. ولها مغزاها بالنسبة لهم ..

فتحت درج الكومود بحثًا عن القلادة فلم أجدها .. فتشت الحجرة فلم أجد شيئًا غريبًا .. هذا خدر سيدة لا أكثر ولا أقلّ .. وإن لاحظت أن الغرفتين كانتا منسقتين أكثر من اللازم والأسرة مرتبة بعناية ، كأنما لم ينم فيها أحد ..

أما وقد اكتفيت ، فقد فررت من المكان فرارًا ، ولم أجرؤ على تجربة حجرة ثالثة .. فقد صبر الحظ علىّ طويلاً وكان مجاملاً ، لكنه لن يظل يجاملنى إلى الأبد ..

وكنت على حق ، لأننى إذ دخلت حجرتى سمعت صوت أحدهم يصعد فى الدرج .. ولو تأخرت ثانية لرآنى ..

حمدًا للّه !

★ ★ ★

فى غرفتى أغلقت الباب يا (ريم) ، ثم جلست على المنضدة أتأمل الأثرين العجيبين اللذين ظفرت بهما ، ثم أخرجت الكاميرا وزودتها بعدسة مناسبة ، والتقطت بعض الصور ..

القلادة لم تكن لها صفة خاصة .. لم تكن ثمة كتابة على ظهرها ولا علامة تدلّ على أين صنعت .. لكنى لاحظت لها خاصية غريبة هى ـ كما قلت ـ أنها تتوهج حين أتركها وتنطفئ حين ألمسها .. وعلى سبيل التجربة وضعتها حول عنقى ، وتأملت منظرى فى المرآة .. أبدو غريبًا بحق ..

أما الأداة التى تشبه عصا أبنوسية ، فكانت ثقيلة

الوزن . واضح أنها من معدن لا أعرفه .. معدن له ملمس خشب الأبنوس .. وقد رحت أديرها بين أناملى بحثًا عن شىء قابل للفتح فلم أجد .

هنا خطر لى أن أحتفظ بالقلادة تحت قميصى ، وأدارى العصا فى جيبى .. ثمة شعور يقول لى إن هذه الأشياء مفيدة ..

والآن ماذا أفعل ؟

يمكننى محاولة الهبوط من نافذة حجرتى .. لكنى لا أملك هذا القدر من الرشاقة ، وفى الغالب سأدق عنقى .. فى السينما يربطون ملاءات السرير على شكل حبل يتدلون به ، ولم أفهم قط من أين يأتون بكل هذا العدد من الملاءات ؟

الهاتف ؟

ليسوا بهذه البلاهة ، لكن بوسعى أن أجرب ..

وهكذا يا (ريم) يهبط الكهل النشيط (رفعت)

إلـى الطـابق الأرضـى ، ويتجـه إلـى الهـاتف .. أيـن ذهبوا ؟ مستحيل أن يكونوا قد غادروا المنزل ، وأنا أعرف أن هناك على الأقل واحدًا فى غرفته الآن ..

ليكن .. سأجرب حتى أسمع صوت من ينصحنـى بعدم المحاولة أكثر ..

هذا هو الهاتف .. كتلـة مـن الإغـراء البلاسـتيكى الصارخ .. يعدنى بالخـروج مـن هنـا .. ربما يعدنـى بمصر أيضا ..

ورفعت السماعة ..

كلا .. لـم يكـن ميتـًا .. لكنـه كـان يصـدر أصواتـًا غريبة .. كأن أناسـًا يتكلمـون بـلا انقطـاع ودون أن يسمع أحدهم الآخر ، وبأغرب لغة يمكن سماعها .. لغـة فيهـا الكثـير مـن حـروف الطقطقـة والتجشـؤ .. كأنما هذان هما الحرفان التاسـع والعشـرون والثلاثـون فى الأبجدية .. ولكن أية أبجدية هذه ؟

ضغطت على الزر مرارًا علّ الضوضـاء تنتهـى ، لكن بلا جدوى .. صحت (هاللو) عدة مرات ، لكن أحدًا لم يسمعنى .

وضعت السماعة فى قنوط .. لا بأس .. لست بالسذاجة كى أتوقع أن تتم المهمة بهذه البساطة ..

* * *

كان الصوت مستمرًا ، لكنه أكثر وهنًا ..

فطنت لهذا ، وفطنت إلى أنه آت من القبو ..

قبو المنزل رقم (5) ، وقد دخلته مرتين لأساعد مسز (بانكروفت) فى شىء ما .. كان قبوًا عاديًّا به بعض الحقائب الفارغة ، وطن من المهملات على غرار (جراموفون) قديم ، ومانيكان للتفصيل ، وجرائد لا حصر لها ..

لكن الصوت كان آتيًا من هناك ..

وفطنت - فى دهشة - إلى أنه ذات الصوت الذى سمعته من الهاتف .. كما فطنت إلى أن الشعر على ساعدىّ قد انتصب ، كما يحدث لفراء القطة الذى تدلكه حتى تملأه الكهربية الإستاتيكية ..

هذا المكان مشحون بالإستاتيكية ، ولابد أن هناك

مجالاً مغناطيسيًا لا بأس به ، لأن رأسى يطن وأشعر بأننى موشك على القئ .. نفس الشعور الذى شعرت به حين مررت بتجربة أشعة الرنين المغناطيسى(*) منذ أعوام .. أنت تعرفين هذه القصة يا (ريم) ، وهى سرّ بيننا كما اتفقنا ..

ماذا يفعل هؤلاء القوم تحت ؟

يمكننى أن أذهب لأرى ، لكنى غالبًا لن أعود ..

هؤلاء القوم ليسوا على ما يُرام ، وليسوا ملائكة ..

أعرف هذا .. أشعر به ..

★ ★ ★

(★) MRI

٨ ـ أنت دخيل !

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

* * *

سؤال سخيف بلا معنى طبعًا .. فلو كان المنزل يحمل رقم (6) أو رقم (7) لبدا الأمر غريبًا بنفس القدر .. يجب أن يكون السؤال هو : ماذا يحدث هنا ؟!

* * *

عند منتصف الليل سمعت قرعات على بابى ، وسمعت (ساندرا) تقول فى تهذيب :

ـ « د. (رفعت) .. هل أنت نائم ؟ »

ـ « وكيف أكون ؟ »

ـ « إذن .. أنا بانتظارك .. نحن بحاجة إليك فى قاعة الجلوس من أجل موضوع مهم .. »

نهضت من الفراش ، وارتديت ثيابًا مناسبة ، ووضعت ذات السترة التى تحوى كنوزى على كتفى .. ثم خرجت لها ..

كانت شاحبة مرهقة ، ترتدى ثيابًا بسيطة مجعدة .. وقلت لها وأنا أدس ذراعى الأيسر فى الكمّ :

ـ « هل حان الوقت ؟ هل ستقتادوننى إلى الفناء الخلفى لإنهاء الأمر ؟ »

لم يبدُ عليها الفهم ولا الاستعداد للمزاح بسبب الإرهاق الشديد وقطبت وجهها بما معناه (عم تتحدث بالضبط ؟) ، فقلت :

ـ « أعنى أن الوقت قد حان لتفجير رأسى .. »

قالت فى فتور :

ـ « دعك من السخف واتبعنى .. »

مشيت وراءها متوجسًا ، حتى وصلنا إلى الطابق السفلى حيث دخلت قاعة الجلوس ، وكان الجميع هناك .. أسرة كبيرة واحدة سعيدة كما يقول الأمريكان .. كان دخان التبغ متجمدًا فى الهواء ، بينما

كان الميجور يقف وسط القاعة ويداه مشتبكتان خلف ظهره كأنه (ولنجتون) يراقب معركة (ووترلو) .. أما الزوجان فجلسا متعانقى الكفين يرمقانى فى اهتمام ..

قال الميجور :

ـ « د. (إسماعيل) .. ما زلنا نجد عسرًا فى تصديق أنك منّا .. وعليك إثبات العكس ! »

كان هذا آخر ما توقعت سماعه .. توقعت طلقة مسدس فى رأسى ، أو أن يقيدونى ويضعونى فى قدر ماء يغلى كى أكون عشاءهم .. كل شىء إلا هذا ..

قلت فى كياسة :

ـ « لماذا أحاول إثبات ما لم أزعمه قط ؟ »

صاح الزوج الوسيم فى انتصار :

ـ « هذا هو ما قلته مرارًا .. ليس هو .. صدقونى .. يجب الخلاص منه الآن ! »

قال (جيسون) الذى جلس أمام المدفأة كثور المسك ، وهو يداعب عضلات صدره المخيفة :

- « لكننى أظن أنه هو .. »

وقال الميجور وهو يعتصر شاربه :

- « أنا أيضًا أحسبه هو .. »

- » كفاكم سخفًا ! »

قالتها الفتاة فى حنق ، وراحت تدور حولى كأنما تنوى شراء سيارة ، وقالت :

- « ليس هو .. لابد أن العمى أصابكم .. »

هنا فقط دق جرس فى ذاكرتى ..

★ ★ ★

« (ميدا) .. هل هذا أنت ؟ »

★ ★ ★

لقد كان من الواضح أكثر من مرة أن شكلى أصابهم بنوع من الارتباك .. الزوجان تناقشا بصددى ، و (جيسون) حسبنى من يُدعى (ميدا) لكنه لم يستطع التأكد ..

إن لى شكلاً عجيبًا يذكّر كل الناس بشىء ما ، وذات مرة رأى (كولبى) الساحر اليهودى أننى أشبه (إدجار آلان بو) ، بينما رأى (جيسون) أننى (ميدا) ..

هل أزعم أننى (ميدا) هذا ؟ لا فرصة لدىّ لأننى لا أعرف حرفًا عنه ، ولا أعرف إن كان شيطانًا أم إنسيًّا ..

قال الميجور بلهجة حكيمة :

ـ « تذكروا النبوءة : كلهم يعود حتى لو نسى أنه منكم .. ربما كان هذا هو (ميدا) وهو لا يعرف ذلك .. »

قال (جيسون) وهو يكوّر قبضته :

ـ « إن نداء المنزل أقوى من الإرادة .. إنه يلعب دور ذات الغريزة التى تحكم هجرة الطيور .. »

هنا صاح الرجل الوقور نافد الصبر :

ـ « كفى سخفًا ! إذن ما الذى يدلنا على أنه منا وليس مجرد عابر سبيل ؟ لا تتركوا الأمور عائمة إلى هذا الحدّ .. »

قال (جيسون) فى ثبات :

ـ « الأمر سهل .. لو كان هذا هو (ميدا) ـ حتى لو نسى أنه منكم ـ فلسوف يكون معه سلاح (فى) .. ولسوف يحمل القلادة .. هكذا تقول النبوءة .. »

واتجه نحوى دون استئذان ، ومدّ كفيه ليمزق صدر القميص .. ثم مدّ يده فى جيب سترتى ، وأطلق صرخة انتصار ، ولوَّح بالأَداة المعدنية الغامضة ..

ـ « آهاه ! إنه هو ! »

وعلى الفور تصلبت العيون على وجهى ، وللمرة الأولى شاعت فى الوجوه ابتسامة ودية .. حتى (ساندرا) الشيطانية لم تملك نفسها من الانبهار ، وراح صدرها يعلو ويهبط انفعالاً ..

★ ★ ★

كان عقلى يعمل بسرعة دوران الإلكترونات حول نواة الذرة .. ورسمت على وجهى علامات البلاهة والارتباك .. لا بأس .. فهم يتوقعون هذا ..



واتجه نحوى دون استئذان ، ومدّ كفيه ليمزق صدر القميص .. ثم مدّ يده فى جيب سترتى ..

لقد لعبت الأقدار لعبة غير عادية معى ، والشيئان اللذان قمت بسرقتهما هما الدليل الوحيد على أننى منهم ..

إنهم حمقى بالتأكيد .. إن (ساندرا) والرجل الوقور كانا أذكى الستة ، وكانا محقين فى شكوكهما ، لكنهما انضما الآن إلى معسكر المؤمنين بأننى (ميدا) ..

حظ حسن .. لكن هل يستمر ؟

* * *

قال الميجور فى رضا :

ـ « ونحن كدنا نقتله ! إن الأقدار تحميه حتى النهاية .. لقد فرّ من سيارة (كالا) ، ولم تصبه رصاصات (مور) .. كنا سنقتل أخًا .. »

قال (جيسون) بلهجة من لا يريد أن يبعده اللهو عن الموضوع الرئيسى :

ـ « بهذه المناسبة ؛ اقترح أن يجىء كل واحد منا بقلادته وسلاح (فى) الخاص به .. نحن نعرف

بعضنا ، لكن لا نريد أن يندس أحد .. إن الثقة غير مطلوبة فى هذه الأمور .. »

وافق الجميع استحسانًا للفكرة ، وبعد ثانيتين وجدت نفسى أقف وحيدًا فى القاعة لا أعرف ما أفعله بنفسى ، وأحاول أن أضم القميص الممزّق إلى صدرى ..

بعد دقيقة عاد الجميع .. وراح كل منهم يتقدم إلى الأمام ، ويلوّح بأشياء ..

- « أنا الضابطة (أورا) .. هذه هى قلادتى ، وهذا هو سلاح (فى) .. فلتكتمل دورتك أيها الجاكون الأعظم .. »

- « أنا الضابط (مور) .. هذه هى قلادتى ، وهذا هو سلاح (فى) .. فلتكتمل دورتك أيها الجاكون الأعظم .. »

- « أنا الكومار (شير) .. هذه هى ... »

حتى جاء دور الرجل الوقور ، الذى لم يكن يملك هذه الأشياء طبعًا .. تقدم للأمام ، ووجهه شاحب كالموتى ، وقال :

ـ « أنا .. أنا .. لم أجد قلادتى ولا .. لا أفهم .. »

نظر الجميع له فى شك ، وهتف (جيسون) كالثيران لو أن هذه تهتف :

ـ « ألا ترى بعض الغرابة فى هذا ؟ »

صاح الوقور موشكًا على البكاء :

ـ « أقسم إننى لا أدرى كيف .. كانا فى غرفتى .. ثم .. »

ثم نظر إلى فى هستريا ، وأشار بإصبع ترتجف :

ـ « هذا ! هذا هو من سرقهما ! »

قالت (ساندرا) ـ التى اتضح أنها الضابطة (أورا) ـ فى تحدّ :

ـ « لا أحد يفقد القلادة ما لم يكن ميتًا .. الأسهل أن تقول إنها لم تكن لديك من البداية ! »

ـ « لقد سرقها منى ! أنا الكومار (فور) .. كلكم يعرفنى ! »

ـ « كذلك كلنا نعرف (ميـدا) .. هو قد أثبت شخصيته ، فماذا تفعل أنت ؟ »

صاح (جيسون) ـ الذى اتضح أنه الضابط (مور) ـ وهو يعتصر سلاحه :

ـ « كفى مزاحًا ! لو كنت أنت (فور) وفقدت سلاحك ، فمن الخير لك أن ... »

ولم أدر ما حدث ..

لم أفهمه حتى وجدت الدم يسيل من عينى الوقور وفمه وأذنيه ، ثم بدأت فقاقيع تحتشد تحت جلده وتنفجر .. وهنا فقط فهمت .. هذا الرجل يذوب بالمعنى الحرفى للكلمة ..

الرجل الذى كان الكومار (فور) يذوب .. يذوب .. أنا الوحيد الذى يعرف أنه كان صادقًا ..

رحت أرتجف كورقة وأنا أرمقٍ ما كان ينتظرنى ، لو لم آت بالقلادة معى .. حمدًا لله !

أخيرًا صارت سجادة القاعة ملوثة ببقعة لزجة هى خليط من دم ودهن ومادة كالشمع لا أدرى ما هى ..

قال الميجور كأنما لم يحدث شيء :

ـ « دخيل ! لقد تحدثت النبوءة عنهم كثيرًا : ومنهم دخلاء ليسوا من بينكم ، لكنكم تنخدعون فيهم ، حتى الموعد .. »

الحقيقة أن النبوءة صادقة جدًا .. لكن الخلاف كان بالنسبة للشخص المعنى .. وإلى متى يظل سرى آمنًا ؟

يا له من مأزق !

★ ★ ★

٩ ـ أنت منا !

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

وضعت قرص النتروجلسرين العزيز تحت لسانى ، وانتظرت حتى بدأ الصداع والدوار ثم بصقته .. أنت تعرفين حالة قلبى يا (ريم) .. لقد كان بالضعف ذاته فى هذا الوقت .. لم يكن قط سليمًا على قدر ما أذكر »

لم يلحظ أحدهم ما فعلت ، وقال الميجور فى مودة :

ـ « أنت منا يا (ميدا) حتى لو لم تعرف هذا . »

وقال الزوج وهو يعود للأريكة :

ـ « ما كان قدومك إلى هذا المنزل بالذات صدفة .. لقد كان نداءً خفيًّا لم تسمع أذناك مثله ، كالذى يهدى الطيور المهاجرة إلى اتجاهها ، أو كالذى

يحـرك إبـرة البوصلـة .. ولأسـباب مماثلـة قبلـت العجوز ضيافتك برغم أنها رفضت الكثيرين منـا .. كنت أنت أول مـن لبى النـداء ، ومـن سخرية الأقدار أنك كنت الوحيد الذى نسى أنه منا .

قالت (ساندرا) فى حنان :

ـ «لكنــه سـيتذكـر .. مـا إن يبقـى معنـا قليــلاً سيتذكر .. »

كانـوا حمقى .. ولو كنـت زعيمهم لأمرت برميهـم بالرصاص ، فهذا خطأ فادح لا يتكـرر كثـيرًا ، لكنـه مـن حسـن حظـى ، ولـولاه لكنـت بقعـة دهـن تلـوث السجادة ، إلى أن تجـد المغسـلة مستحضرًا مناسـبًا لإزالتى ... قلت لهم بصوت مبحوح :

ـ « بعد هذا كله .. هل تسمحون لـى بالاعتكـاف فى حجرتى ؟ »

قال الميجور فى مرح ،وهو يتحسس شاربه الكثّ :

ـ « طبعًا .. لكن تذكـر أن موعدنـا عنـد منتصـف الليل .. أى أن أمامنا أقل مـن أربع وعشرين ساعة ..

سنتجمع هنا فى العاشرة صباحًا كى يحدِّد كل منا تفاصيل (الإكلوس) .. »

هززت رأسى ، ولممت القميص الممزق على صدرى العظمى ، وصعدت فى الدرج محاولاً أن أبدو أكثر .. لا .. لا داعى للتظاهر بأننى طبيعى .. فهم جميعًا يتوقعون أن أكون مرتبكًا ..

سيناقشون تفاصيل (الإكلوس) فى العاشرة صباحًا .. يجب أن أكون هناك .. وأتمنى أن يكون نسيانى مبررًا كافيًا لكونى لا أعرف كُنه هذا (الإكلوس) ..



من هم ؟

كل شىء يوحى بأنهم جماعة سرية ما أو كائنات لا أعرف كنهها .. ومن الواضح أن اليوم العشرين من مارس ـ الذى بدأ منذ ساعتين ـ يمثل أهمية عظمى لهم .. دينية أو وطنية .. ويبدو أنهم مكلفون بالاحتشاد هنا من بقاع الأرض فى هذا

اليوم بالذات ، وهى مهمة يمكن أن يقتلوا من أجلها ..

يمكننى كذلك القول إنهم لا يحبّون بعضهم كثيرًا ، ولا يهم الواحد منهم أن يساعد الآخرين على الوصول ها هنا .. لقد بدا واضحًا أن الميجور لم يكن متحمسًا لدخول الرجل الوقور المنزل ، كما أن الزوجين أنذرا العجوز من أحدهم حين عرضا عليها صورة فوتوغرافية له ..

من أين جاءوا ؟

للأسف لا توجد سوى إجابة واحدة .. القلادة الغريبة والسلاح المصنوع من معدن لا وجود له على الأرض ؛ كلها أشياء ليس لها إلا معنى واحد : هؤلاء غرباء .. هؤلاء ليسوا من عالمنا .. ربما ليسوا من أرضنا أو ليسوا من مجرتنا كذلك ..

ورحت أتفحص سلاح (فى) الذى تكلموا عنه .. ربما صار ذا عون لى للدفاع عن نفسى .. كما قلت هو غير مزوّد بأى زناد أو شىء يُفتح ويُغلق .. لقد رأيت (جيسون) يضغط عليه لكن شيئًا لم يخرج

منه .. هل هذا كل شىء ؟ هـل أشعته غير مرئيـة ؟ أم أن هناك أسلوبًا ما لا أفهمه ؟

أمسكته واعتصرته بقوة ..

هنـا شعرت كـأن نـارًا تلتهب فـى جسمى كلــه ، وكأن سيخًا محميًّا انغرس فــى أحشـائى وراح يعبـث هنا وهناك ..

كان الألم مفزعًا إلـى حـدّ أننـى تخليت عن حمـل السلاح ، وعلى الفور عادت الأمور تستقرّ ..

ما معنى هذا ؟

إذن لماذا لم يؤثر السـلاح فى (جيسـون) ، ولـم يؤثر فىّ حين جربتـه أول مـرة ؟ آه ! السـبب أننـى نزعت القلادة عن عنقى الآن .. وهذه القلادة كما هـو واضح تلعب دور الدرع الواقية من سلاح (فى) .. الرجل الوقور لم يكن يرتديها حين ذاب ، بينمـا كنـا جميعًا نضعها حول أعناقنا .. هذه القلادة تلعب لعبـة قذرة إذن .. من لا يضعنى حول عنقـه ليس منـا .. ومن ليس منا جزاؤه الموت ..

الدرس الأهم الذى تعلمته الآن هو ألا أنزع هذه القلادة عن عنقى أبدًا .. الدرس الثانى هو : إذا أردت قتل هؤلاء القوم فعليك بنزع قلاداتهم ، وهو كلام نظرى سهل .. إذ كيف ينزع المرء القلادة من حولٍ عنق (جيسون) الغليظ ؟ هذا إن كان له عنق أصلاً ..

لقد كان الرجل الوقور مهملاً بحق ، وأحسبه قد استحق الموت بلا شك .

طرقات على الباب .. طبعًا ستكون (ساندرا) ..

★ ★ ★

ـ « ادخل ! »

انفتح الباب وظهرت وهى تبتسم فى صفاء

ـ « أراك لم تنم يا (ميدا) ؟ »

ـ « كما ترين .. »

كنت أرتدى منامتى ، وشعرت بخجل شديد ، لأنه ما من أنثى غير المرحومة أمى رأتنى فى هذا المظهر .. لكنها لم تخجل .. وقفت فى منتصف الغرفة وعقدت كفيها على ردفيها ، وقالت :

ـ « كنت أتساءل : كيف شككت فى أمرك لحظة ؟ الحق أننى أذكرك أبهى طلعة وأرق حاشية .. »

لن أجد منأى من السخرية أبدًا ، حتى مع هذه الفتاة الفضائية ذات العينين المثقوبتين .. قلت لها فى مرارة :

ـ إن للحياة تصاريفها .. »

ـ « وكنت أسأل نفسى : كيف لم يتعرفك قلبى ؟ »

آه ه ه ه ه ! إنها قصة حبّ إذن ، وهذه الفتاة مغرمة بالأخ (ميدا) .. لكنها لا تعرف كم كان قلبها صادقًا .. ولكن ذوقها غريب بحق ، فأنا ـ بلا فخر ـ أقبح الموجدين هنا .. ربما أسوأ من الميجور و (جيسون) بمراحل ..

هنا أجابت الفتاة عن السؤال :

ـ « صحيح أنك اخترت لنفسك أقبح الأقنعة .. وزعمت أن هذا بغرض التمويه ، لكننى أذكر أن قناعك كان أجمل من هذا بكثير ! »

ـ « لا بأس سأعمل على إصلاحه ! »

ـ « لاداعى .. لأنك ستتحرر منه اليوم إلى الأبد ! »

مفهوم .. مفهوم .. لكن هناك سؤالاً مهمًّا : لماذا يتكلم هؤلاء القوم اللغة (الأسترالية) حتى فيما بينهم ؟ المفترض أن يعودوا إلى طبيعتهم ويتكلموا لغتهم .. لغتهم الشبيهة بما سمعت من الهاتف منذ ساعات ..

قلت لها فى جرأة :

ـ « لماذا تتكلمين الإنجليزية ! »

اتسعت عيناها دهشة ، وقالت :

ـ « عسى ألا تكون نسيت هذا أيضًا .. إن قسم الجاكون الأعظم يرغمنا على الكلام فيما بيننا بالإنجليزية ، تحت طائلة الموت .. لا يجب أن يبدر منا خطأ يثير الشكوك »

ثم أردفت باسمة :

ـ « بالطبع لم تنس لغتنا .. »

بدبلوماسية قلت :

- « لست واثقًا .. سأعرف هذا فى نهاية اليوم .. »

ثم إن وجهها تبدّل ليكتسب رقة مزعجة أثارت القلق فى صدرى .. هذه الفتاة تحب (ميدا) بحق ، ولتكونن هذه هى النقطة التى تخرب بيتى ..

قالت وهى تحتفظ برقة الابتسامة :

- « ألم أزر أحلامك قط طيلة هذه الأعوام ؟ »

ابتسمت فى خبث ، كما يليق بـ (ميدا) أن يفعل ، وقلت :

- « كثيرًا .. لكنى لم أكن أعرف أن لك وجودًا حقيقيًّا .. »

دنتْ منى أكثر ، وقالت وهى تتأمل ملامحى :

- « ياللغرابة ! لكم تبلى هذه الأقنعة بسرعة ! لا أذكر أن الوجه الذى اتخذته كان يحمل هذه التجاعيد .. »

- « إنها عوامل التعرية .. الشمس والهواء .. هذه الأشياء تحدث .. »

دنتْ أكثر وأراحت رأسها على كتفى ، وقالت :

- « عندما أفكر فى أننى قابلت (ميدا) ولم أعرفه .. أوشك على قتل نفسى .. »

كنت أنا فى أسوأ حال ممكن .. فقد كانت لشعرها رائحة غريبة كيماوية أثارت الرعب فى عروقى ، ثم إن وضعها هذا جعلها أدنى لاكتشاف حقيقتى .. دعك من أننى لست من سعة الصدر بحيث أترك كل كائن فضائى غريب يستريح على كتفى !

وهمسًا قالتْ :

- « تذكر جيدًا .. تذكر .. الليلة التى مشينا فيها تحت أقمار (فراما) السبعة واقتطفت لى أوراق (الزنكيل) .. أو حينما صارعت (البوركا) من أجلى ، وقتلت (هلبراد) فى المبارزة المقدسة ..

« كنت أنت أشجع الفرسان ، وكنت لى وحدى .. واليوم ألقاك هنا فلا أعرفك ولا تعرفنى .. بل إننى أنذرتك من البقاء فى البيت حتى العشرين من مارس .. تصورّ هذا ! »

سعلت بمعنى أننى أضحك سخرية ، ولم أقل شيئًا ، فقالت هى بنفس النبرة الحالمة :

ـ « هل تذكر مجلس جاكون الأعظم ؟ لقد صممت على أن أكون معك ، حتى إذا تلاشت ذراتنا اختلطت الطاقتان معًا للأبد ، وعندها نصير نجمين من نجوم (آركا) الخالدة التى كنا نرمقها معًا .. »

الغريب أن كلامها جعلنى أشعر بدوار حقيقى ..

لم لا يكون كلامها صحيحًا وأكون أنا واحدًا منهم ؟ لم لا تكون حياتى كلها كانت وهمًا .. مجرد قناع استترت وراءه بينما أنا (ميدا) الذى لا يُقهر ؟

ورفعتْ عينيها المثقوبتين نحوى ، وهمستْ :

ـ « هل ترى عينىَ ؟ هل تذكرهما ؟ كنت تحبهما كثيرًا ، وإننى لأتساءل عما إذا كنت تذكر ؟ »

الخدر يتسلل إلى جسدى ببطء ، وأشعر بأن أبخرة من العطر تحيط بى وتحملنى إلى آفاق لم يرها بشر ..

هل أنا هو أنا حقًا ؟ ما الذى يثبت هذا ؟ ربما أنا هو (هو) ؟



ورفعتْ عينيها المثقوبتين نحوى ، وهمستْ :
- هل ترى عينىَّ ؟ هل تذكرهما ؟ كنت تحبهما كثيراً ..

ابتعدتْ عنى قليلاً ، وفى دلال همستْ :

- « سأريك شيئًا جميلاً .. أصبر لحظة .. أغلق عينيك حتى لا ترى .. »

أغمضت عينىّ وأنا أتساءل عن الكارثة القادمة .. السؤال المحرج التالى الذى سيجعلها تشك فى أمرى ..

صاحت فى حماس بعد هنيهة :

- « والآن أفتح عينيك ! »

★ ★ ★

فتحتُ عينى فى توجس لأرمقها ..

ثمة شىء غريب فى وجهها آثار قلقى .. ثم أثار هلعى حين تبينته .. لقد انتزعت عينيها ! نعم .. لا مزاح هناك ! لقد انتزعت كرتى عينيها من المحجرين بما يحيط بهما من جفنين ومكان التجويف كان ظلام دامس يتحرك فيه ضوء أحمر شرير يفتش هنا وهناك !

وفى يديها كانت كرتا العينين ، وأدركت على الفور أنهما صناعيتان ، وأن الجفنين من مادة كاللدائن ..

قالت وهى تحدق فى وجهى بفجوتيها المخيفتين :

ـ « الآن يمكنك أن تتذكر عينىَّ من دون هذا القناع البشع ! »

ثم بدلال أضافتْ :

ـ « هل أنت سعيد ؟ ليس من السهل أن أعيد كل شىء إلى موضعه لأن علىَّ أن أدارى كل هذا بالمساحيق وكريم الأساس .. لكنك تستحق هذه المجاملة ! »

فتاة بلا عينين تقف على بعد متر منى وتتكلّم يا (ريم) ..

هذا ليس حقيقيًا .. إنه كابوس ..

الآن صار قلبى يعمل بمزاجه الخاص ، وصار له إيقاع محبب يذكرك بمواويل (عبد المطلب) .. وبدأت بقعة سوداء محاطة بحواش صفراء تظهر فى مجال إبصارى .. إنه الإغماء آت ولا ريب .. لكن .. يجب .. أن .. أقاوم ..

وسمعت الفتاة من مكان ما تقول :

ـ « والآن عليك أن تـردّ لـى المجاملـة ، وتنـتزع هاتين العينين البشريتين من أجلى ! من أجلى أنا ! »

* * *

١٠ ـ الحقيقة كلها (تقريبًا) ..

بدأت أترنح .. حقًا كنت الآن أجاهد كى أظلّ على قدمىّ ، بينما صوتها من وراء الضباب يهتف :

ـ « (ميدا) ! ماذا دهاك يا حبيبى ؟ »

وهويت فى هاوية سوداء لا ينيرها إلا ضوء أحمر شرير جشع ، يتحرك بلا هوادة فى كل صوب ..

وبإرادة حديدية لم أدر أنها عندى ؛ انتزعت نفسى ثانية .. لا أريد أن أفقد الوعى وأتركها تتحسس وجهى ، لتدرك أنه وجه حقيقى وليس قناعًا .. لن أتركها تحاول بأظفارها انتزاع عينىّ ..

تحاملت على نفسى وهمستُ :

ـ « نعم .. نعم .. أتذكر عينيك .. لكن هذا أجمل من أن يكون حقيقيًا .. أشعر بدوار .. »

بحنان سألتنى :

- « هل تريد أن أتركك الآن ؟ »

- « نعم .. نعم .. بعض النوم قد يفيدنى .. »

- « وفى الصباح سترينى وجهك الجميل ؟ »

- « بالتأكيد .. بالتأكيد .. »

ولا أدرى متى خرجت وأطفأت النور ، تاركة إياى وحدى على الفراش فى الظلام ، أعلو وأهبط ..

أمشى تحت أقمار (فراما) السبعة .. أصارع (البوركا) ثم أغدو نجمًا من نجوم (آركا) الخالدة ، رمزًا للحب الذى لايموت ..

من يدرى ؟ ربما أقطف بعض أوراق (الزنكيل) أيضًا .. إن كل شىء صار ممكنًا فى هذه الأيام ! »

سترى وجهى الجميل صباحًا .. لابأس .. ثمة احتمال لا بأس به أن ألقى ربى فى الساعات القليلة الباقية على العاشرة صباحًا .. وعندها أكون قد استرحت وأرحت ..

* * *

فى الصباح اتجهت مترنحًا إلى قاعة الجلوس ، وكان الخمسة هناك يرشفون الشاى والكعك بالزنجبيل الذى صنعته مسز (بانكروفت) لنفسها .. لا أدرى لماذا لا أفكر فيها الآن إلا بصيغة (المرحومة) .. لا أعتقد أنها ماتت ، لكنها صارت بعيدة جدًا الآن عن هذا العالم ..

قال الميجور بطريقته العسكرية الحاسمة :

ـ « لعلك نعمت بليلة طيبة أيها الشاب .. »

قلت بسخرية لم يلحظوها :

ـ « جدًا .. ولعلكم لم تناقشوا ترتيبات (الإكلوس) بعد ؟ »

قال وهو يمسك ببعض الأوراق :

ـ « كنا ننتظرك .. ولكن (الإكلوس) لا يمكن أن يناقش إلا بلغتنا ، فهل تستطيع المتابعة ؟ »

ـ « لا أظن .. »

ـ « ليكن .. يمكننا أن نعمل كخمسة .. والآن بالسلطة

المخوّلة لى باعتبارى (جود) أعظم ؛ فإننى أعفيكم من الكلام بالإنجليزية لمدة ربع ساعة .. فلنبدأ .. »

(الإكلوس) !

لمدة ربع ساعة دارت مناقشة محتدمة حول (الإكلوس) بلغة غريبة يصعب علىّ مجرد وصف أصواتها .. كما قلت آنفًا كان هناك كثير من التجشؤ والطقطقة ، وذلك الصوت الخاص الذى كان الخواجة (بيجو) يحاول جاهدًا كتابته على الورق ، فى أحد أفلام (إسماعيل يس) الشهيرة .. لابد أن أبجدية هؤلاء القوم تربو على الخمسين حرفًا ..

كان لـ (ساندرا) أطول باع فى المناقشة ، وكانت قد أعادت عينيها الزائغتين إلى موضعهما .. حقًا لم أفهم كنه (الإكلوس) لكنى خمنت أنه مجموعة من التعليمات يكلف بها كل واحد من الموجودين .. وعليه أن يستظهرها وينفذها بدقة .. بل إن الموقف بدا لى كرجال الكوماندوز الملتفين حول زعيمهم ، وهو يعطيهم التعليمات الأخيرة قبل أن يتفرقوا ..

مرّ ربع ساعة يا (ريم) ثم صاح الميجور :

ـ « كفى ! الآن نعود إلى الإنجليزية ، ولن ينتهى الخطر إلا فى التاسعة مساءً بتوقيت الأرض .. »

نظرت لى (ساندرا) فى مرح ، وقالت :

ـ « للأسف لدىّ طن من الأعمال على عاتقى ، فلا وقت لدىّ كى أجعلك تبرّ بوعدك .. لكنك لن تهرب منى !

قلت صادقًا :

ـ « لن أهرب .. عسير أن أهرب منك .. ولكن ماذا سيتم فى التاسعة بالضبط ؟ »

ـ « سنعود يا حبيبى ! ألم تشتق إلى الوطن ؟ »

ـ « بلى ! بلى ! ولكن .. كيف ؟ »

ـ « تعال معى وسأشرح لك .. »

★ ★ ★

أظلمتْ (ساندرا) ـ أو الضابطة (أورا) ـ غرفة

نومها ، وأسدلت الستائر ، ثم أخرجت سلاح (فى) من جيبها .. وسألتنى مستوثقة :

- « لعلك لم تنس ارتـداء القـلادة .. حسـن ! إذن راقب الجدار وسترى تاريخ رحلتنا .. »

فهمت على الفور أن سلاح (فى) يُسـتعمل لعدة أغراض ، كسكين الجيش السويسرى بالضبط .. إنه يصلح لإذابة الناس كما يصلح كجهـاز إسـقاط صـور جدارى .. لو كان يصلح لتسليك الأسنان التى انحشرت بينها قطع اللحم ؛ فهو الإتقان ذاتـه ..

وعلـى الحـائط الـذى صـار شاشــة بـدأت صــورة مبهمة لا أدرى كنهها تتكوّن ..

لكن الفتاة لم تبد راضية عن هذا ، وراحت تقلّب سلاح (فى) فى كفها ، وتطقطق بلسانها بما يعنـى أن الأمـور ليسـت علـى مـا يُرام .. واضـح أن هـذه الأجهزة تفسد ككل شىء آخر ..

أخيرًا وبعد جهد قالت :

- « لقـد نفدت الشاحنة البيولوجية .. ليكن .. الأمـر

باختصار هو أننا جئنا هذا الكوكب عام ١٨٨٤ بتاريخهم .. وقد تفرقنا ليعيش كل منا حياته ويدرس طبائع الكائنات ، على أن نلتقى ثانية بعد عام من أعوامنا .. وبعبارة أدق : بعد ما يقرب من مائة عام من أعوامهم هنا .. والموعد المحدّد للرحيل هو العشرون من مارس بتوقيتهم .. هنا ..

« أنا جربت الكثير فى مائة عام .. عملت معلمة ، ثم تزوجت وفررت إلى مدينة أخرى كى أكون طبيبة ، وبعدما تزوجت فررت إلى بلد تُدعى (ألمانيا) حيث جربت أن أكون مهندسة .. ولقد تنقلت بين عشرات المهن فى عشرات البلدان ..

أشياء كثيرة يمكن عملها فى عام واحد من أعوامنا هنا ..

« لم أنس من أنا قط .. لكن كنت مطمئنة إلى أننى لو نسيت سأجد نداءً خفيًّا يدعونى إلى (سيدنى) .. إلى المنزل رقم (5) قبل مجىء العشرين من مارس عام ١٩٧٣ ..

« إن النبوءة صادقة : حتى لو نسيت سأعود .. وحتى لو نسيت فلن أنزع القلادة أو أفقد سلاح (فى) .. »

سألتها وأنا أسترجع خيوط القصة كلها :

ـ « لماذا أشعر أنكم لاتحملون مودة بالغة بين بعضكم للبعض ؟ »

ـ « لأن العائد سيكون بطلاً ولسوف ينضم إلى المجلس .. ونحن لانرغب فى أن يعود (جيسون) معنا ، كما أن (الجود) لم يكن يرغب فى عودة الكومار (فور) .. وما دام من كان معنا أمس وهلك لم يكن هو (فور) ؛ فإننى أعتقد أن (فور) لن يستطيع اللحاق بنا .. وثمة اثنان آخران لم يلحقا بنا بعد .. »

ـ « ومصير هؤلاء ؟ »

ـ « سيظلون هنا للأبد .. سيظلون طويلاً إلى أن يموتوا بعد مائة عام من أعوامنا .. »

ـ « أى عشرة آلاف عام أرضى ؟! »

- « بالضبط .. أعتقد أن الأمور صارت أوضح لك الآن ، وثق بأنك ستسترجع ذاكرتك فورًا .. بمجرد أن نصل إلى عالمنا .. ولسوف تكون بطلاً هناك .. »

بالطبع سأكون بطلاً هناك .. سيضعون بقاياى الذائبة فى مُتحف باعتبارى أول من استطاع خداعهم لفترة لكنه فشل ..

سألتها ونحن خارجان إلى الممر :

- « ما هذا (الإكلوس) الذى كنتم تتكلمون عنه ؟ لقد خشيت أن أسأل ، لكنى لم أع حرفًا .. »

قالت وهى تهتز ضحكًا :

- « صحيح .. نسيت أنك لا تذكر شيئًا .. (الإكلوس) هو مجموعة البروتوكولات الخاصة بالعودة لوطننا .. إنها تشبه ما يقوم به قائد الطائرة اليوم ، حين يجعل كلاً من مساعديه يقوم بتسميع تعليماته المكتوبة فى قائمة .. على كل منا أن يعى جيدًا ما يجب أن يعمله ، وإلا ضعنا .. بالمناسبة ؛ لعلك لم تنس أننى القائد ؟ »

« أذكر هذا على الأقل .. والآن ما هو دور كل واحد اليوم ؟ »

ـ « القبو .. ولا شىء غير القبو .. إن أمامنا عملاً كثيرًا .. »

وصفقت بيديها كما يفعل زبون المقهى مناديًا القهوجى ، وتقدمتنى واتجهت إلى القبو ..

* * *

كما قلتُ يا (ريم) ، كان القبو هنا مجرد سلة مهملات ضخمة ، وأعتقد أنه لايمكن أن يوجد به شىء مهم من أى نوع ..

كان الجميع يقفون هناك ، ولم أفهم حقًّا ماذا ينتوون عمله بكل هذه الجرائد والحقائب القديمة الفارغة ، وربما الفئران ..

لكن (جيسون) ـ الضابط (مور) كما عرفت ـ أجاب عن أسئلتى قبل أن أطرحها .. اتجه إلى مدفأة مركزية عتيقة هناك يبدو أنها كانت تدفئ المنزل بالخشب ، فى القرن الماضى .. ودون كلام توضيحى أزاح حاجزها جانبًا ، ولم تكن هذه مشكلة بالنسبة لتكوينه العضلى ، ثم انزلق عبر فتحتها

ليختفى تمامًا .. فأران مذعوران جريا من الفتحة وهما لا يصدقان ما حدث للسلام العالمى ..

وجاء دور (الميجور) الذى حمل فى يده كشافًا ، وتشبث بحاجز المدفأة العلوى ثم أرجح جسده لينزلق إلى داخلها .

جاء دور الزوجين ثم دورى .. لماذا ؟ ببساطة لأن (ساندرا) أرادت أن تكون آخرنا لتتأكد من غلق الحاجز ..

سمحت لجسدى النحيل بأن يمر عبر الفتحة ، وعلى الفور سقطت فى نفق مظلم قذر يهبط لأسفل بزاوية شبه قائمة .. وقبل أن أصرخ أو أصاب بالذعر أو تقتلنى (الكلوستروفوبيا) ، وجدت أننى ملقى على الأرض وسط قاعة واسعة ..

وقبل أن أتخذ ردّ فعل جديدًا ، كانت (ساندرا) قد سقطت فوقى .. فانتحيت جانبًا وعدت أرمق المكان من حولى ..

* * *

كان مظلمًا كالقبر ..

لكن الكشاف الذى يحمله الميجور أشاع جوًا لا بأس به يسمح بتبين التفاصيل ، وعابث (جيسون) بعض الأشياء ، فانبعث نور أزرق غامض بدا أنه يأتى من الجدار نفسه ..

كانت هناك بلورات فى كل صوب .. عالم من البلورات الخيالية التى تتهشم عليها الألوان وتتكسر ..

همست (ساندرا) مستمتعة بدهشتى :

ـ « إن المدفأة تقود إلى هذه القاعة ، ومن المفهوم أن المدخنة مسدودة ، لذا لم يحاول مخلوق أن يضع فيها خشبًا طيلة مائة عام تقريبًا ، ولو حاول لوجد أنه يختفى ! »

ورحت أنظر حولى مذعورًا .. لم أكن مذعورًا بسبب ما رأيت ، ولكن بسبب أن كل هذا مألوف .. لقد رأيته فى موقف سابق .. ربما فى طفولتى أو شبابى .. ربما فى أحلامى .. ودعوت اللَّه أن أكون مخطئًا وأن يكون هذا مجرد تكرار لظاهرة (ديجا ـ فو) أو (شوهد من قبل) الشهيرة ..

أما ما لم يبدُ مألوفًا لى فهو تلك الأحواض الزجاجية المتناثرة هنا وهناك ، والتى تسبح فيها أجساد بشرية ! جثث آدمية مغمضة العيون تسبح فى سائل شفاف ، وقد بدا كأنما تحلم بالخلاص .. كان هناك حوض به قط وآخر به كلب ، وكانت هناك مجموعة لا بأس بها من الحشرات ..

قلت لها متظاهرًا بعدم الاكتراث :

- « كان يجب أن تضعى أسودًا وأفيالاً و .. و ... »

ابتسمت من جديد ، وقالت :

- « هذه ليست سفينة (نوح) .. لقد جئنا بما استطعنا الحصول عليه ، وعلى كل حال ليس هذا عملاً سيئًا فى عام واحد من أعوامنا .. والآن كفانا ثرثرة .. »

تعرف سفينة (نوح) ؟ إن ثقافتها الأرضية واسعة .. لكن ليس هذا غريبًا ، فما أكثر ما يراه المرء ويعرفه لو عاش مائة عام من أعوامنا .. لقد كانت (ساندرا) والميجور يعرفان كل شىء عن العجوز وماضيها وهكذا دخلا البيت دون جهد ..

كان الجميع الآن منهمكين .. يعدّلون أوضاع البلورات ، بينما لونها يتغير كلما تغير وضعها .. أحيانًا كان اللون الأزرق يستحيل أحمر أو قرمزيًّا ، وأحيانًا كان الظلام يسود .. لكنهم كانوا يعرفون ما يفعلون جيدًا ..

ترى هل أحلم أم أن الأرض تهتز تحتى ؟

كلينج ! كلينج !

وهذا الصوت المعدنى ! هناك من يدقّ شيئًا فوقنا .. بل هو بالذات يدق حاجز المدفأة فى القبو !

تصلب الجميع للحظة ، ونظروا لأعلى ..

فى هذه اللحظة أيضًا جاء صوت قوى من أعلى يصيح :

ـ « افتحوا لى ! افتح يا (جود) ! أنا (ميدا) !! »

* * *

١١ ـ اللحظات الأخيرة ..

ولماذا المنزل رقم (5) بالذات ؟

★ ★ ★

دنا (جيسون) من الفتحة التى سقطنا منها ، وأصاخ السمع إلى الصوت الذى يردّد :

ـ « افتحوا لى ! أنا لم أتأخر ! »

صاح (جيسون) من خلال الفتحة :

ـ « (ميدا) من ؟ »

ـ « (ميدا) رفيقكم ! لقد تأخرت فى القدوم من (إفريقيا) ، وكان علىّ أن أغتصب باب البيت اغتصابًا لأنكم أغلقتموه من الداخل ، لكنى لا أستطيع فتح حاجز المدفأة .. »

اتسعت عينا (جيسون) فى وجهه المشعر ، ونظر لى بنظرة نارية ثم إلى الآخرين .. هنا قال الميجور ضاغطًا على كلماته :

ـ « لو كان هذا هو (ميدا) ، فمن الذى معنا ؟ »

انتهى الأمر !

كنت أعرف أنه سينتهى حتمًا لأننى سأكشف عن شخصيتى عاجلاً أم آجلاً ، حين ينزعون أقنعتهم .. لكن آخر ما جال فى ذهنى هو أن يعود (ميدا) الأصلى فى هذه اللحظة بالذات ، ملهوفًا على اللحاق برفاقه ..

لم أحاول أن أنكر .. الطبيعى هو أبدو غبيًّا عاجزًا عن الفهم .. وهذا هو ما فعلته بنجاح تامّ ..

همس الميجور بصوت مسموع :

ـ « دعه يدخل .. ولنر .. »

وهكذا زحف الأخ (جيسون) كالقرد داخل الفتحة ، ويبدو أنه أزاح مزلاجًا ما ، وفى اللحظة التالية تدحرج جسده ومن فوقه جسد رجل نحيل أصلع ..

وحينما وقف هذا الأخير فهمت معنى الحيرة التى غمرت كل من رآنى .. بالطبع ليس الشبه قويًا ،

ولن تحسبه أخى التوءم .. بل هو وسيم نوعًا ، لكنه أصلع الرأس نحيل له شارب مضحك ويضع العوينات .. ومن الواضح أنهم بدءوا ينسون الأقنعة التى تفرقوا بها فى أرجاء الأرض ..

وقف (ميدا) العظيم فى منتصف القاعة ، وهتف :

ـ « أنا الكومار (ميدا) .. فلتتكامل دورتك أيها الجاكون الأعظم ! »

★ ★ ★

« لقد صارعت (البوركا) من أجلى ، وقتلت (هلبراد) فى المبارزة المقدسة .. كنت أنت أشجع الفرسان ، وكنت لى وحدى ! »

★ ★ ★

يا للكارثة ! أشجع فرسان عالمهم ، الذى صارع (البوركا) ـ يعلم اللّه ما هو ـ هو الآن خصمى اللدود ..

نظر الجميع له ولى ، وهو أيضًا نظر لى فى غير

فهم ، على حين بدت فى عينى (ساندرا) الحقيقة .. هذه المرة قد عرف قلبها الإجابة الصحيحة ..

قال (الميجور) وهو يعابث شاربه الكثّ :

ـ « كما ترى أيها القادم .. إن لدينا هنا (ميدا) آخر .. »

صاح القادم فى ذهول غاضب :

ـ « كفى سخفًا ! هذا هو الدخيل الذى ذكرته النبوءة .. بالطبع لم تسألوه عن القلادة وسلاح (فى) ! »

ـ « للأسف هو يملكهما .. وأنت ؟ »

دون تردّد مزق القادم أول زرين من قميصه ، ليكشف عن القلادة المعلقة حول عنقه ، ولوّح بالعصا الشبيهة بالأبنوس .. ثم هتف موجهًا الكلام إلى (ساندرا) :

ـ « كيف يمكن أن تقعوا فى هذا الخلط ؟ »

قالت (ساندرا) وقد صار شكها يقينًا :

ـ «كانت الظروف ضدنا ، ويبدو أننا أبدنا الكومار (مور) بسبب هذا الخطأ .. »

هنا قال (الميجور) بلهجة آمرة :

ـ « حسن .. لم يبق أمامى سوى أن آمركما بنزع قناعيكما حالاً !

وصدع القدام بالأمر .. وبدأ بانتزاع عينيه كاشفًا عن تلكما الفجوتين السوداوين بالضوء الأحمر اللامع فيهما ..

نظر لى الجميع فى ارتياب ، فتنهدت باستسلام وقلت :

ـ « حسن .. أعترف أننى دخيل .. لكنكم لم تتركوا لى فرصة الاختيار .. كان علىّ أن أكذب كى أظلَ حيًا ! »

ـ « وكيف حصلت على القلادة وسلاح (فى) ؟ »

ـ « لم أعرف مغزاهما وقتها .. كنت أبحث فى غرفة (فور) وإذا بى أجدهما .. »

صاح (جيسون) العصبى دائمًا :

ـ « الموت للدخيل ؟ »

ورفع سلاح (فى) فى الهواء واعتصره بقبضته لكن ـ بالطبع ـ كان موقفه سخيفًا جدًا ، لأن شيئًا لم يحدث .. وقال الميجور فى إرهاق :

ـ « لا جدوى .. إن القلادة حول عنقه ، ولا يمكن انتزاعها .. »

انفتحت أصابع (جيسون) العشرة وهو يتقدم نحوى :

ـ « إذن نستعمل الأسلوب الأرضى الفظّ ! »

هذا الفتى متحمس للعنف أبدًا .. لكنى لا ألومه هذه المرة ..

لكن (ساندرا) لوحت بكفها لتمنعه :

ـ « لا تفعل .. لا نريد اهتزازات هنا .. إن هذا قد يفسد بروتوكولات (الإكلوس) كلها .. إن هذه القاعة مقدسة ولن أسمح بأى عنف فيها .. »

ـ « إذن هل نتركه ؟ »

نظرت لى فى مرارة ، وقالت :

ـ « لم لا ؟ إنه عديم الخطر ، وهو لن يكون أكثر من عينة إضافية تضاف إلى عيناتنا البشرية .. سنأخذه معنا ! »

وهمست لى وهى تبتعد :

ـ « لقد خدعتنى .. ولسوف تدفع ثمن هذا غاليًا .. فيما بعد ! إن قلب الأنثى لاينسى الإهانة ، وأنا أختلف عنكم تشريحيًا ونفسيًا ، لكن قلبى قلب أنثى .. لاتنس هذا ! »

★ ★ ★

الآن يا (ريم) راحت الأمور تجرى بسرعة ..

إنها التاسعة مساءً ، وقد انتهى حظْر الكلام بلغة غير الإنجليزية ، وقد راح القوم يركضون هنا وهناك ، ينقلون تلك البلورات الغامضة من موضع لآخر ، ويدلون لبعضهم بتقارير مفصلة بتلك اللغة العجيبة ..

نسى الجميع وجودى ، فاستندت إلى واحدة من تلك البلورات ، ورحت أرمقها .. كانت أقرب إلى جبل ذى قمتين .. استندت فوق كل قمة منهما كرة بلورية شفافة لا تكفّ عن الوميض ، وتكتسب مائة لون فى كل ثانية ..

كان من الواضح أن الأخ (ميدا) يتمتع بكفاءة خاصة ، ولا أدرى كيف كانوا سيفعلون من دونه .. لا بأس .. هو يتفوق علىّ فى هذه النقطة على الأقل ..

الحق أنها خلية نحل غريبة ..

لكن ـ فجأة ـ بدأت أشعر بأنهم ليسوا راضين .. ثمة شىء خطأ لا أدرى ما هو .. وهم يتبادلون الآراء ، ويسألون أسئلة كثيرة .. فجأة عادوا إلى الكلام بالإنجليزية ..

قال الميجور موجهًا الكلام لى :

ـ « أيها الدخيل .. سنعطيك فرصة للنجاة .. »

ـ « هذا يسرنى .. »

ـ « ثمة مشكلة تواجه (الإكلوس) .. ولم يعد

بوسع واحد منا أن يغادر هذا القبو بعدما بدأ البروتوكول .. عليك أن تخرج من هنا وتغادر المنزل على الفور ، لكن عليك قبل مغادرته أن تغلق الباب المحطم جيدًا .. الباب الذى اغتصبه (ميدا) حين حاول اللحاق بنا .. »

قال (جيسون) فى عصبية :

ـ « وكيف تعرف أنه سيفعل ؟ إنه مخادع ! »

نظرة واثقة شاعت فى وجه الميجور المغضن ، وقال :

ـ « سيفعل .. لأنه لو لم يفعل هذا لما استطعنا الرحيل ، وعندها سنظل على الأرض ، ولسوف نجده .. هو يعرف أننا سنجده ، وليكونن انتقامنا منه مريعًا .. »

لم أشك فى ذلك ، فهؤلاء القوم يمقتونني حقًا ..

قلت واضعًا يدى فى جيب السروال .

ـ « اعتمدوا علىّ .. لن تكون هناك ألعاب هذه المرة .. »

قال الميجور :

ـ « نأمل هذا .. تذكر لمصلحتك الخاصة أن تغادر المنزل بأسرع ما يمكن ولا تنظر إلى الوراء .. ابتعد كأن الشيطان يطاردك .. ولا تنس أن القلادة لن تحميك منا خارج هذا القبو .. إن هناك طرقًا أرضية للانتقام ، و (جيسون) يجيد استعمالها .. »

ـ « لم أشك فى هذا لحظة .. »

ومن جيبه أخرج ورقة مطوية ، تبدو عليها علامات القدم ، وقال وهو يحدق فى عينى :

ـ « ما زلت أرى أن من حقك أن تفهم أكثر ، خاصة لو بقيت حيًا .. هذه الورقة تحكى كل شىء .. »

ثم أشار إلى الفتحة التى دخلنا منها ، وقال :

ـ « والآن هيا وتذكر .. لن نرحمك لو ظللنا هنا .. »

نظرت لهم وقد وقفوا يرمقوننى فى شك ، وهززت رأسى بمعنى أننى أحييهم تحية المساء ، ثم جثوت على ركبتى ودلفت من الفتحة المذكورة ..

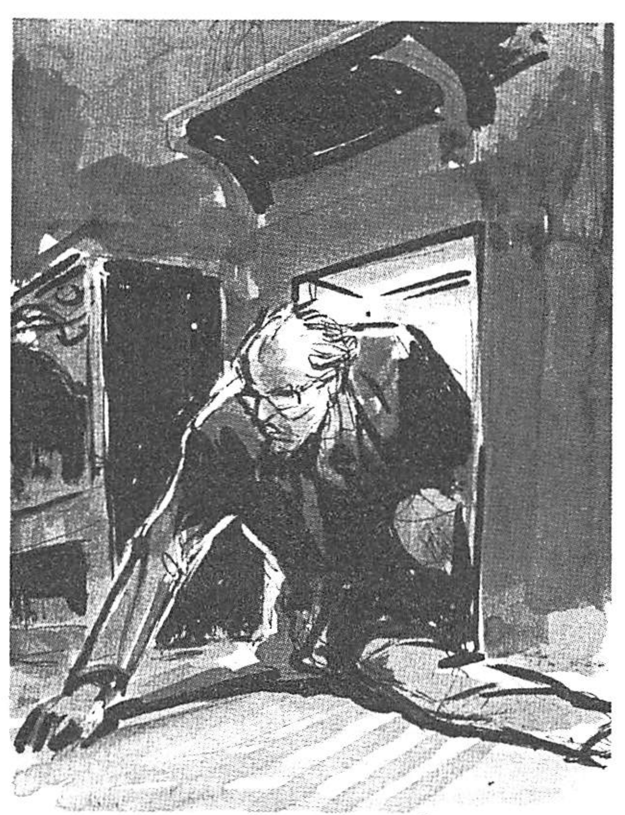
كان التسلق عسيرًا بعض الشىء ، لكنى وجدت حاجز المدفأة ما زال مفتوحًا ، وبشىء من الجهد استطعت أن أمرّ عبره لأصل إلى القبو المظلم ..

انتظرت ثانيتين حتى اعتادت عيناى الظلام ، ثم رحت أتحسس طريقى نحو باب الخروج ..

أخيرًا ! كان أول ما فعلت هو أن صعدت إلى حجرتى فكومت ثيابى والكاميرا كيفما اتفق فى حقيبتى ، وجررتها إلى الطابق الأرضى .. وأخيرًا استطعت أن أجد نفسى خارج المنزل رقم (5) .. أن أشم رائحة ظلام الليل وأرتجف من البرد الخفيف .

لم أخدعهم .. إن المرء يحترم تعهداته حتى مع الكائنات الغريبة ، لهذا تفحصت الباب جيدًا ، وكان الأخ (ميدا) قد فتحه عنوة لكنه لم يهشم شيئًا ، وبقليل من الجهد تمكنت من غلقه بإحكام من خلفى ..

وابتعدت نحو عشر أو عشرين خطوة ، ثم تذكرت أن علىّ أن أبتعد أكثر وبسرعة .. وهكذا ـ بقدر ما منحنى قلبى من قدرة ـ رحت أجدّ السير سريعًا ..



كان التسلق عسيراً بعض الشيء ، لكنى وجدت حاجز المدفأة
ما زال مفتوحاً ، وبشيء من الجهد استطعت أن أمرّ عبره
لأصل إلى القبو المظلم ..

وأخيرًا ، وقد صار البيت خلفى بمسافة لا بأس بها .. كهذه المسافة بين بيتك يا (ريم) ومتجر البقال .. عندها فقط وضعت حقيبتى على الأرض ورحت ألهث ..

ومددت يدى فى جيبى أبحث عن كنزى .. البلورتين اللتين قمت بسرقتهما دون أن يلاحظنى أحد .

على قدر علمى ستمنعهما هاتان البلورتان المفقودتان من تنفيذ ما يريدون القيام به ..

لا أعرف حقًا ما ينوون القيام به .. يخيل إلىّ أنه نوع من الفرار ، ولربما كان التدمير النهائى لكوكبنا .. على كل حال لن أترك شيئًا للظروف .. مع ما أعرفه من دقة بروتوكولات (الإكلور) هذه ، فهناك احتمال لا بأس به أن يفشل الإقلاع ..

هل يجدوننى وقتها ؟ لا أظن .. سأذوب وسط زحام (سيدنى) ، وبعد قليل أكون فى قارة أخرى ومدينة أخرى ..

المهم أن تكون هاتان البلورتان مهمتين حقًا ..

ووقفت فى الظلام أرمقهما تتوهجان بذلك البريق

الغامض المهيب ، وراحت ألوان لاحصر لها تترقرق على عدسات منظارى ..

ثم ..

حدث شىء غريب ..

* * *

فى البداية خُيِّل إلىّ أن المنزل رقم (5) قد تم دهانه كله باللون الأحمر .. بعدها استحال الأحمر أزرق ..

وأدركت أنه يرتفع .. يرتفع للسماء ببطء لكن بثقة .. ديناصور خرافى عملاق يحرّر نفسه من قيود الخرسانة والأسفلت التى أحاطت به .

إنها الحقيقة إذن !

المنزل رقم (5) لم يكن سوى سفينة فضاء متنكرة ! غالبًا السفينة التى جاءوا بها من مائة عام .. السفينة التى وقفت وحدها وسط العراء أعوامًا ، ثم لم تلبث الحضارة أن جاءت فجدّدتها وأحاطتها بالشوارع ، وطلت واجهتها .. وما لم تعرفه مسز

(بانكروفت) قط أن زوجها ـ الأحمق ـ ابتاع سفينة فضاء كى يعيشا فيها ..

الآن كان المنزل قد ارتفع ثلاثة أمتار عن منسوب الشارع ، وصار المكان جحيمًا من الكهرباء الإستاتيكية ، حتى انتصبت كل شعرة فى جسدى ..

بعدها عمّ المكان مجال مغناطيسى يشعرك بالغثيان .. وسرعان ما استحال لون المنزل أبيض لامعًا كاللؤلؤ .. أبيض مضيئًا من الداخل ..

ثم .. ثم تفتت !

وعاد الظلام يغمر المكان ..

ومددت يدى فى جيبى أبحث عن قلم الأبنوس فلم أجده ..

وتحسست عنقى بحثًا عن القلادة فلم تكن هناك ..

★ ★ ★

خاتمة

فى الصحف ؛ طالعت تلك القصة الغريبة عن المنزل رقم (5) الذى تحول إلى غبار فى الحادية عشرة مساء اليوم العشرين من مارس ..

إن خبراء المفرقعات يعرفون أشياء كهذه ، ويعرفون أنك تستطيع تحويل منزل إلى مسحوق غسيل ، لو أنك وضعت المتفجرات بحنكة فى الطابق الأرضى منه ..

من العسير تمامًا استنتاج سبب الانفجار ، وقد قام رجال الإنقاذ بكسح الأنقاض ، لكنهم لم يجدوا ما يدل على سبب الحادث ، والجدير بالذكر هنا أن صاحبة المنزل لم تكن موجودة .. كانت فى المستشفى إثر إصابتها فى حادث سيارة غامض ..

★ ★ ★

جالسًا فى الفندق الحقير الذى استأجرت ليلتين فيه

يا (ريم) ، رحت أرشف الشاى وأطالع الصحف ..

ثم وضعت الصحف جانبًا ، وبحثت فى جيبى عن الورقة المطوية التى أعطانيها الميجور فى اللحظات الأخيرة .. فتحتها ، وكانت مكتوبة بإنجليزية منمقة تمت حتمًا إلى القرن الماضى ، وكان المكتوب كما يلى :

« إلى من يهمه الأمر ..

« يهمنى هنا أن يعرف من يجد هذه الورقة ، حكاية الأحداث العجيبة التى أدت بى إلى ملكية المنزل رقم (5) ..

« القصة هى أننى ـ أنا (جيمس أوسبورن) ـ لم أملك شيئًا فى حياتى ، وكنت أنتمى دومًا إلى تلك الطائفة واسعة الانتشار المسماة (المعوزون) ..

« لم أكن أملك إلا رقعة خربة من الأرض خارج (سيدنى) ، لا تصلح لشىء ، ولا يوجد بها ماء ولا شىء ، وقد تلقيت عروضًا لشرائها ببضعة ملاليم ..

« وفى ليلة من العام 1884 توهجت السماء الملبدة بالغيوم مرارًا ، ورأيت ضوءًا غامضًا يهبط من أعلى ، ثم أعمى الضياء عينى لربع ساعة . كنت فى منتهى الذعر ، وراحت الماشية تخور وقد انتابها الهياج .

« فلما استعدت بصرى ، وجدت أمامى بيتًا جميلاً من طابقين ينتصب وسط الغبار ، وكانت أجزاء منه ما زالت تترقرق بنار حمراء غامضة ، كالتى نراها فى قطعة الفحم بعد انطفائها .

« وانفتح الباب وبرز منه عدد من الرجال وامرأة .. كانوا يبدون كالبشر تمامًا ، فلم يقف قلبى هلعًا .

« كان أكبرهم يبدو كشيخ مُسنّ ويبدو أنه أكثرهم مكانة ونفوذًا هنا . أشار لى كى أدنو منه قليلاً فدنوت متوجسًا .. دعانى إلى الدخول خلفه إلى المنزل ، ولم أكن أملك الخيار ، لذا تبعته إلى المدخل ، حيث كانت قاعة جلوس أنيقة تضيئها الشموع . وقد قال لى :

ـ « لاتخف أيها الرجل الطيب .. هذا البيت الجميل

لك ، ولسوف أعطيك صكًا بملكيته ، فعليك أن تذهب إلى البلدية ، وتنسبه لنفسك .. هذا البيت ملكك وملك أولادك من بعدك ، لكن لا تفرط فيه ولا تحاول أن تهدمه ، وإلا كان عقابنا شديدًا .. »

« وهكذا وجدت نفسى أملك بيتًا جميلاً .. لم يسأل أحد أسئلة لأن البقعة كانت مقفرة مهجورة ، وقد تركنى هؤلاء القوم وحدى ورحلوا دون أن يقدموا لى أية تفسيرات ..

« احتجت إلى شهر أو شهرين كى أتخلص من هلعى ، واحتجت إلى عام حتى قررت أن أقيم فيه مع زوجتى وابنى .. وبعد هذا لم يعد الأمر عسيرًا ، وراقت لى الحياة فيه .

« لكنى من آن لآخر أسأل نفسى أسئلة كثيرة : من هؤلاء القوم ؟ من أين جاءوا ؟ هل هذا المنزل منزل حقًا ؟

« لذا أكتب هذه الكلمات ، وأخبئها فى القبو ، لعلّ واحدًا ممن يأتون بعدى يجدها ، ويبحث عن السرّ ويحله ..

« بالطبع سيرث ابنى (ألفريد) البيت من بعدى ، لكنه لن يعرف هذه القصة .. فقط سأوصيه ألا يهدم المنزل أو يفرط فيه ، وأن يعمل على أن يرثه ولده من بعد ..

« وأدعو اللَّه ألا تكون هذه الصفقة تجديفًا ما أو خرقًا لنواميس الطبيعة.

(جيمس أوسبورن)

بالطبع لم يكن مع هذه الورقة أى عقد من أى نوع ..

وأدركت أن هذه الورقة ظلت فى القبو فترة ، حتى عرف الميجور كيف يجدها ويحتفظ بها ، لأنها تزيل الستار عن ميلاد المنزل رقم (5) .. ولولاها لظللت لا أفهم شيئًا ..

عرفت كذلك أن (ألفرد) ـ ابن كاتب الرسالة ـ قام بتجديد المنزل وأعطاه طابعًا عصريًا ، ثم باعه لأنه لا يعرف أهميته الخاصة ، ولأنه لم ينجب ، مما جعله يتحرر من عهد توريث المنزل لأولاده ..

هكذا اشترى مستر (بانكروفت) المنزل الوحيد فى العالم الذى كان سفينة فضاء متنكرة ! لم يخطر ببال أحد أن غرفة المحركات الرئيسية تقع تحت القبو ، ويصلون إليها عبر فتحة المدفأة ..

ثم دنا موعد الرحيل ، وجاء أشخاص متحمسون يطلبون من العجوز أن تمنحهم غرفة هنا ، ويبدو أنهم لم يكونوا فى البداية ميالين إلى العنف ، لكن عناد العجوز وعنادى جعلاهم على استعداد للقتل .. وقد كادوا يفعلون ..

لكنهم لم يضعوا فى اعتبارهم أن رجلاً يدعى (رفعت إسماعيل) سيسرق بلورتين من غرفة المحركات قبل الانطلاق ..

لقد صدع بأمرهم وتأكد من غلق باب البيت (لا يمكن أن تطير سفينة فضاء وبابها مفتوح) ، لكنه كما تعلمين خدعهم وسرق قلب المحرك .. ترى هل كان هذا هو سبب انفجار المنزل ؟ أم أن خللاً آخر فى المحركات كان هو السبب ، وكما حدث مع مكوك الفضاء (تشالنجر) فى الثمانينات ؟

ترى هل ماتوا حقًا ؟ أم أن لخلاياهم القـدرة علـى تحمل أشياء كهذه ؟ ولو لم يكونوا ماتوا فأين هـم ؟ أتراهم يبحثون عنى للانتقام يومًا ما ؟

الحقيقـة أن عـدد الكائنـات الموتـورة التـى تريـد رأسى قد ازداد أكثر من اللازم هذه الأيام ..

* * *

وفى الظهيرة ذهبت لزيارة المستشفى حيث كـانت مسـز (بـانركروفت) .. كـانت قد تحسـنت كثـيرًا ، وإن سـاءت ثـانية حيـن عرفت أن منزلهـا قـد تـلاشى من الوجود .

ـ « ما السبب ؟ لابد أن (ساندرا) المخبولة قـد تركت الموقد مشتعلاً ، وراحت تلهو كعادتها ! »

ابتسمت فى مرارة ، وقلت لها :

ـ « يمكنك أن تفترضى هذا الاحتمال ، فهـو علـى الأقل مريح ويبدو مناسبًا لما نعلمه عن الكون ! »

وودعتها للمـرة الأخيرة ، لأننى عائد إلى وطنى ،

فقالت إن لديها مدخرات تسمح لها بالإقامة فى ملجأ للعجزة لأنها صارت عجوزًا حمقاء بائسة .. ولم ألمها كثيرًا على ما قالت ..

وعند باب المستشفى توقفت عند صندوق مهملات ، وتخلصت من البلورتين اللتين أثقلتا جيبى .. من أدرانى أنهما ليسا جهازى إرسال يتيحان لكائنات أخرى من هذا العالم أن تقفو أثرى ؟ كل هذا ممكن ..

حقًا كانت قصة غريبة ..

تسألين عن المغزى يا (ريم) كعادتك .. وكعادتى أقول إننى أكره اعتصار القصص لينزّ منها مغزى ما ، لكن ـ كى أريحك ـ أقول لك النصيحة التالية :

قبل أن تسكنى فى منزل جميل ، تأكدى أولاً من أنه ليس سفينة فضاء متنكرة !

★ ★ ★

آن لى أن أستريح ..

لكنهم لا يستريحون ..

والمومياء كانت بانتظارى على أحر من الجمر ..

ولكن هذه قصة أخرى .

د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسلة ●

1 - أسطورة مصاص الدماء .
2 - أسطورة النداهة .
3 - أسطورة وحش البحيرة .
4 - أسطورة آكل البشر .
5 - أسطورة الموتى الأحياء .
6 - أسطورة رأس ميدوسا .
7 - أسطورة حارس الكهف .
8 - أسطورة أرض أخرى .
9 - أسطورة لعنة الفرعون .
10 - أسطورة حلقة الرعب .
11 - أسطورة الكاهن الأخير .
12 - أسطورة البيت .
13 - أسطورة اللهب الأزرق .
14 - أسطورة رجل الثلوج .
15 - أسطورة النبات .
16 - أسطورة الناقاراى .
17 - أسطورة حسناء المقبرة .
18 - أسطورة الغرباء .
19 - أسطورة بو .
20 - حكايات التاروت .
21 - أسطورة عدو الشمس .
22 - أسطورة المينوتور .
23 - أسطورة رعب المستنقعات .
24 - أسطورة إيجور .
25 - أسطورة الجنرال العائد .
26 - أسطورة المواجهه .
27 - أسطورتنا .
28 - أسطورة آخر الليل .
29 - أسطورة الجاثوم .
30 - أسطورة بعد منتصف الليل .
31 - أسطورتها .
32 - أسطورة رفعت .
33 - أسطورة أرض المغول .
34 - أسطورة الشاحبين .
35 - أسطورة دماء دراكيولا .
36 - أسطورة الفصيلة السادسة .
37 - أسطورة الدمية .
38 - أسطورة النصف الآخر .
39 - أسطورة التوءمين .
40 - وراء الباب المغلق .
41 - أسطورة فرانكنشتاين .
42 - أسطورة الكلمات السبع .
43 - أسطورة تختلف .
44 - أسطورة رجل بكين .
45 - أسطورة بيت الأفاعى .
46 - أسطورة طفل آخر .
47 - أسطورة المنزل رقم (5) .

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٢٤٠٤